

جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسبوط
المجلة العلمية

**المعاملات الربوية لليهود
وأثرها على طردهم من إنجلترا وفرنسا
(١١٠٠-١٣٠٦م)**

*Jewish Usurious Transactions and their Impact on the
Expulsions from England and France (1100-1306 AD)*

إعداد

د/ إيمان على محمد عوض

مدرس تاريخ العصور الوسطى بكلية الدراسات الإنسانية
جامعة الأزهر بتفهنه الأشراف

(العدد الرابع والأربعون)

(الإصدار الثالث-أغسطس)

(الجزء الخامس) (١٤٤٧هـ / ٢٠٢٥م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) 2536- 9083
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٢٥/٦٢٧١م

المعاملات الربوية لليهود وأثرها على طردهم من إنجلترا وفرنسا (١١٠٠-١٣٠٦م)

إيمان على محمد عوض

قسم التاريخ، كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، تفهنا الأشراف، مصر.

البريد الإلكتروني: EmanAwad1395.el@azhar.edu.eg

المخلص:

تهدف الدراسة إلى إلقاء الضوء على المعاملات الربوية التي مارسها اليهود في إنجلترا وفرنسا خلال الفترة بين عامي ١١٠٠-١٣٠٦م، وأظهرت كيف استطاع اليهود أن يصلوا لهذه القوة الاقتصادية والتحكم في الاقتصاد الأوروبي في بعض الحقب الزمنية، حتى تم إقصاؤهم من إنجلترا وفرنسا، ففي البداية عمل اليهود بمهنة التجارة التي أدت لهم أرباحًا طائلة؛ مكنتهم من ممارسة الربا بعد إقصائهم من النشاط التجاري في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي، خاصة أنهم لم يكونوا ملزمين باتباع التعاليم المسيحية التي تحرم الربا تحريمًا مطلقًا.

ومع تطور الاقتصاد الأوروبي وازدهار التجارة خلال القرنين الثاني والثالث عشر الميلاديين، ظهرت الحاجة الملحة للأموال لتمويل المشروعات المختلفة، فاضطر الملوك والأمراء والتجار حتى الأديرة للاقتراض من اليهود مقابل فائدة "الربا"، وفي الوقت نفسه فُرضت عليهم الضرائب مقابل حمايتهم وتيسير أعمالهم، فأصبحوا مصدرًا من مصادر الدخل الرئيس للخزانة الملكية لا يمكن الاستغناء عنه.

وبمرور الوقت ارتفعت أسعار الفائدة على القروض مما أدى إلى تصاعد العداء الشعبي تجاه اليهود، وعقدت الكنيسة الغربية عددًا من المجامع الكنسية لإدانة ممارسة الربا، وقام الملك الفرنسي لويس التاسع (١٢٢٦-١٢٧٠م) بإصدار قرار بحظر ممارسة اليهود للربا في مملكته عام ١٢٥٤م، وتبعه الملك الإنجليزي إدوارد الأول (١٢٧٢-١٣٠٧م) الذي قرر أيضًا حظر الربا

اليهودي في بلاده عام ١٢٧٥م، وسمح لليهود بالعمل في التجارة والحرف الأخرى لكن قراره لم ينفذ، فأصدر قرارًا آخر بطردهم عام ١٢٩٠م، وبعد ستة عشر عامًا أصدر الملك فيليب الرابع *Philip IV* (١٢٨٥-١٣١٤م) قرارًا بمصادرة أموال اليهود وطردهم من فرنسا في عام ١٣٠٦م.

الكلمات المفتاحية: اليهود والتجارة، المعاملات الربوية لليهود، طرد اليهود من إنجلترا، طرد اليهود من فرنسا، صورة المرابين اليهود في الغرب، البابوية واليهود.

Jewish Usurious Transactions And Their Impact On The Expulsions From England And France

(١١٠٠-١٣٠٦ AD)

Eman Ali Mohamed Awad

Department of History, Faculty of Humanities, Tafhna Branch - Al-Azhar University

Email: *EmanAwad1395.el@azhar.edu.eg*

Abstract:

The study aims to shed light on the usurious transactions practiced by the Jews in England and France during the period between 1100-1306 AD, and showed how the Jews were able to reach this economic power and control the European economy in some time periods, until they were excluded from England and France. In the beginning, the Jews worked in the profession of trade, which generated huge profits for them. It enabled them to practice usury after their exclusion from commercial activity at the end of the eleventh century AD, especially since they were not obligated to follow Christian teachings that absolutely prohibited usury.

With the development of the European economy and the flourishing of trade during the twelfth and thirteenth centuries AD, the urgent need for money to finance various projects emerged. Kings, princes, merchants, and even monasteries were forced to borrow from the Jews in exchange for the benefit of "usury." At the same time, taxes were imposed on them in exchange for their protection and facilitation of their work, so they became a major source of income for the royal treasury that could not be dispensed with .

Over time, interest rates on loans rose, leading to an escalation of popular hostility towards Jews. The Western Church held a number of church councils to condemn the practice of usury. The French King Louis IX (1226-1270 AD) issued a decision banning the practice of usury by Jews in his kingdom in 1254 AD, followed by the English King Edward I (1272-1307 AD), who also decided to ban Jewish usury in his country in 1275 AD. He allowed the Jews to work in trade and other crafts, but his decision was not implemented, so he issued another decision to expel them in 1290 AD. Sixteen years later, King Philip IV (1285-1314 AD) issued a decision to confiscate the Jews' money and expel them from France in 1306 AD.

Keywords: *Jews and trade, usurious transactions of Jews, expulsion of Jews from England, expulsion of Jews from France, image of Jewish moneylenders in the West, papacy and Jews.*

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علم الإنسان ما لم يعلم، وجعل في دراسة التاريخ تبصرة لأولى الألباب، والصلاة والسلام على النبي محمد المبعوث هاديًا ومعلمًا وعلى آله وصحبه أجمعين ... وبعد

فتعدُّ قضية المعاملات الربوية لليهود وأثرها على طردهم من إنجلترا وفرنسا خلال الفترة الممتدة بين عامي ١١٠٠ - ١٣٠٦م، من أبرز القضايا التاريخية المهمة في التاريخ الإنجليزي والفرنسي، لكونها تتعلق بدور اليهود في النشاط الاقتصادي للبلدين من خلال إقراض المال بفائدة نظرًا لحاجة المجتمع والاقتصاد للمال، وتحريم العقيدة المسيحية للربا تحريمًا قاطعًا.

رحب الملوك باليهود ووضعهم تحت حمايتهم ومنحهم الكثير من الامتيازات التي تيسر لهم أعمالهم، مقابل دفع الضرائب للتاج، ولم يقتصر إقراضهم للمال على الملوك والفرسان والكنيسة بل امتد ليشمل التجار والحرفيين والمزارعين.

مع مرور الوقت ظهرت مشكلات عديدة لهذه المعاملات الربوية، مثل: ارتفاع نسبة الفائدة على القروض، وبيع اليهود لعقود ملكية الأراضي الزراعية بعد مصادرتها من صغار الملاك العاجزين عن سداد ديونهم للبارونات والأديرة، مما أدى إلى تصاعد العداء الشعبي تجاه اليهود، وحاول أصحاب الديون التخلص من سجلات الدين بالثورة على اليهود وحرق أحيائهم أو قتلهم، مستغلين غياب الملوك في الحملات العسكرية أو القضاء على التمردات الداخلية، كما حدث في إنجلترا في عهد الملك ريتشارد الأول Richard I (١١٨٩-١١٩٩م) ^(١) أثناء غيابه في الحملة

(١) ريتشارد الأول: هو الابن الأكبر للملك الإنجليزي هنري الثاني Henry II (١١٥٤-١١٨٩م) والملكة إيلانور Eleanor، ولد في عام ١١٥٧م شارك إخوته في تمرد ضد أبيه، وتولى عرش إنجلترا

الصليبية الثالثة (١١٨٩-١١٩٢م).

وفي فرنسا أيضًا تجلّى هذا العداء في خطاب القديس بطرس المبجل Peter of Montboissier (١٠٩٢-١١٥٦م) ^(١)، إلى الملك لويس السابع Louis VII (١١٣٧-١١٨٠م) ^(٢)، ذكر فيه أن اليهود ملأوا حظائرهم بالمحاصيل، وأقبيتهم بالخمور، وحقائبهم بالعملات المعدنية، وصناديقهم بالذهب والفضة من الربا والأعمال

→→→

بعد وفاة والده في عام ١١٨٩م، قضى سنوات حكمه كلها في معارك ومغامرات خارجية، شارك في الحملة الصليبية الثالثة (١١٨٩-١١٩٢م) وحقق شهرة كبيرة في الغرب الأوروبي بسبب المعارك التي خاضها مع صلاح الدين الأيوبي للاستيلاء على بيت المقدس مرة أخرى، ولكنه لم ينجح في ذلك، وتوفي في عام ١١٩٩م.

See , Geoffry de Van Sauf , History of Expedition of Richard to the Holy land , London,1448,pp.154-155.

(١) بطرس المبجل: ولد في مدينة أوفيرني بفرنسا Auvergne واختلف المؤرخون في تحديد سنة ميلاده؛ فمنهم من ذكر أنه ولد عام ١٠٩٢ م، ومنهم من ذكر أن ولده ولد عام ١٠٩٤م، ولكنهم اتفقوا على تاريخ وفاته وهو عام ١١٥٦م، هو أشهر رئيس لدير كلوني في القرن الثاني عشر الميلادي، سافر إلى إسبانيا وترجم معاني القرآن الكريم وله عدة مؤلفات ضد الإسلام والمسلمين.

Peter the venerable, Writings against the Saracens, trans. Resnick, I. M., The Fathers of The Church Mediaeval Continuation, Volume16, the catholic university of America press, Washington, 2016,p.4.

Petri Venerabilis abbatis Cluniacensis noni opera Omnia, in Patrologiae Cursus Completus, henceforth Pl, vol. 189, ed. Migne, J. P. Successores, Apud Garnier Fratres, Parisiis, 1890,p.649.

(٢) لويس السابع: هو الابن الثاني للملك لويس السادس، ولد في عام ١١٢٠م، تلقى تعليمه في المدرسة الكاتدرائية في باريس تحت إشراف الأب سوجر Suger رئيس دير سان دوني الفرنسي، تولى عرش فرنسا عام ١١٣٧م بعد وفاة أخيه الأكبر ووريث العرش فيليب.

See ,Guillelmus Sugerii, Historia Gloriosi Regis Ludovici,VII,Filii Ludovici Grossi,Tome,XII, Paris.1877,pp.124-125.

فاطمة عبد اللطيف الشناوي، انتهاك حقوق سكان فيتري تحت حكم الملك لويس السابع ملك فرنسا، المجلة العلمية بكلية الآداب، جامعة طنطا، ع ٢١، ج ١، ٢٠٠٨، ص ١٦٢.

غير المشروعة.

ومع ذلك تجاهل الملوك الأوائل في البلدين الشكاوى من الربا اليهودي؛ لأن الضرائب التي قدمها اليهود للخزانة الملكية لم يكن من السهل الاستغناء عنها، وتستخدم في الإنفاق على تجهيز الحملات العسكرية في الشرق والغرب، وذكر بعض المؤرخين أن اليهود رفعوا أسعار الفائدة على القروض بعلم هؤلاء الملوك، وبسبب كثرة الضرائب المفروضة عليهم.

وبحلول النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي تغيرت الأوضاع، وأصدر الملوك قوانين تحظر ممارسة اليهود للربا وبيع عقود ملكية الأراضي الزراعية بعد مصادرتها من أصحابها، ثم جاءت الخطوة الأخيرة بطرد اليهود من إنجلترا عام ١٢٩٠م بقرار من الملك إدوارد الأول Edward I (١٢٧٢-١٣٠٧م) ^(١)، ومن فرنسا عام ١٣٠٦م بقرار من الملك فيليب الرابع Philip IV (١٢٨٥-١٣١٤م) ^(٢).

(١) إدوارد الأول: ولد في قصر وستمنستر Westminster عام ١٢٣٩م، وهو ابن الملك هنري الثالث (١٢١٦-١٢٧٢م) وأمّه هي اليا نور من بروفانس Eleanor Of Brovence، حصل على قسط وافر من التعليم، تولى الحكم في التاسع من أغسطس ١٢٧٢م في كنيسة وستمنستر، مات والده أثناء غيابه في الأراضي المقدسة، فحكم إيرل جلوستر Gloucester أقوى البارونات الإنجليز المملكة وحافظ عليها حتى عودته، تولى الحكم رسمياً عام ١٢٧٤م وكان عمره سبعة وثلاثين عاماً، وهو من أقوى ملوك إنجلترا تأثيراً، أعاد تنظيم شئون الحكم وأصبح البرلمان في عهده بمثابة الإدارة العامة للتعامل مع القضايا المختلفة، اتصف بالنضج والطموح وقوة الإرادة، جمع بين القوة وحب العدالة والرغبة في الإصلاح مما جعله يحتل مكاناً بارزاً في التاريخ الإنجليزي.

See, *Annales Londonienses Chronicles of Rigns of Edward I&Edward II, Vol.1, (ed) Stubbs, W. In (R.S), London, 1881, p.2.*

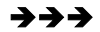
Chazan, R., *Jews of Medieval Western Christendom (1000-1500)*, 2006, p.165.

(٢) فيليب الرابع: تولى عرش فرنسا من عام ١٢٨٥م حتى عام ١٣١٤م، ومنذ توليه وضع نصب عينيه إرساء دعائم الحكم الملكي، وتحقيق السيادة المطلقة ليس فقط على الساحة السياسية الفرنسية

←←←

ونظراً للأهمية البالغة لهذه القضية الشائكة، واستكمالاً للدراسات السابقة التي تناولت الحديث عن اليهود وأحوالهم، رأت الباحثة أن تقوم بتسليط الضوء عليها خاصة وأن هناك العديد من الروايات التاريخية المختلفة عن أثر المعاملات الربوية في طرد اليهود من إنجلترا وفرنسا.

أما عن الدراسات السابقة لهذا الموضوع: فنجد دراسة المؤرخة القديرة زينب عبدالمجيد عبد القوي "اليهود في إنجلترا العصور الوسطى (١٠٦٦-١٢٩٠م)"^(١)، وهي أول دراسة عربية متخصصة ومتفردة عن اليهود في إنجلترا من عهد وليم الفاتح وحتى طردهم في عهد الملك إدوارد الأول، تناولت فيها أوضاع اليهود السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية داخل المجتمع الإنجليزي، بالإضافة إلى دراسة الدكتور ياسر كامل محمود "البابوية ويهود غرب أوروبا عصر الحروب الصليبية (١٠٩٥-١٢٩١م)"، تناول فيها عدة قضايا منها البابوية ويهود غرب أوروبا قبيل فترة الحروب الصليبية، حماية البابوية لليهود وموقف البابوية من تنصير اليهود، دور البابوية في عزل اليهود داخل المجتمع، موقف البابوية من الربا



بل غرب أوروبا بصفة عامة، وانطلاقاً من هذا الهدف عمل على القضاء على كل مراكز القوي بالدولة، وتقليل أظافر أي قوى سياسية كان من شأنها تعطيل طموحه الجامح في السيادة المطلقة.

See, Guillaume Le Borton, Oeuvres de Rigord, The deeds of Philip Augustus, an English Translation of Gesta Pilippi Augusti, Trans. by Field, L. edited by Gaposchkin, Cornell University press, 2022. P.8.

جمال فاروق الوكيل: سياسة الملك الفرنسي فيليب الرابع "الجميل" تجاه جماعة الفرسان الداوية "١٢٨٥م - ١٣١٤م"، مجلة وقائع تاريخية، مركز البحوث والدراسات التاريخية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ع ٢٨، ٢٠١٨، ص ٧٧-٧٨.

(١) زينب عبدالمجيد عبد القوي، اليهود في إنجلترا العصور الوسطى، دار عين للنشر، ط١، مصر، ٢٠٠٦.

اليهودي في الغرب الأوروبي^(١).

وتختلف الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة كونها تركز على دراسة السياسة المالية لليهود الممثلة في " المعاملات الربوية " في إنجلترا وفرنسا "دراسة مقارنة " لفهم طبيعة وشكل هذه المعاملات بصورة أوضح، مع مناقشة وتحليل آراء المؤرخين لتوضيح أثر هذه المعاملات على طرد اليهود، وتم اختيار إنجلترا وفرنسا لاختلاف الوضع السياسي لليهود في البلدين، بالإضافة إلى تقارب توقيت قرارات الطرد بينهما فلم يفصل بينهما سوى ستة عشر عامًا.

هذا وقلما يخلو عمل بحثي جاد من صعوبات، وتمثلت أبرز الصعوبات التي واجهتني في اختلاف وتعدد وجهات نظر المؤرخين حول أسباب طرد اليهود من البلدين.

اعتمد البحث على عدد من الدراسات المهمة التي تناولت هذا الموضوع، مثل: سجلات الراهب متى الباريسي *Majora of Matthew paris*، ورسائل بطرس المبجل *The Letters of Peter the Venerable*، ونصوص مختارة لبيتر أبيلارد *Abelard, P. Ouvres Choies*، وبعض الدراسات الحديثة التي تناولت أسباب طرد اليهود، منها: دراسة صوفيا ميناشي *Sophia Menache*، ودراسة ويليام تشيسر جوردان *William Chester Jordan*، ودراسة بارنيت د. أوفروت *Barnett D. Ovrut*.

يتناول البحث عدة محاور مهمة، منها: العمل التجاري لليهود في غرب أوروبا وكيف ساهم في إثراء هذه الأقلية؟، وأسباب توقف عمل اليهود بالتجارة وممارسة الربا، كما يتناول البحث تعريف الربا وموقف الشريعة اليهودية منه، وهل

(١) ياسر كامل محمود، البايوية ويهود غرب أوروبا عصر الحروب الصليبية (١٠٩٥-١٢٩١م)، رسالة دكتوراة غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة أسيوط، ٢٠١٥م.

أباحث الربا ؟، وكذلك موقف الشريعة المسيحية من الربا وأسباب تحريمه، وناقش أيضاً المعاملات الربوية لليهود في إنجلترا وأثرها السياسي والاقتصادي والاجتماعي، ويتساءل: هل قام الملك إدوارد الأول بطردهم من إنجلترا بسبب الربا أم كانت هناك أسباب أخرى ؟، ويركز البحث أيضاً على المعاملات الربوية لليهود فرنسا، وصورة المرابين اليهود في كتابات المفكرين ورجال الدين، ويتناول كذلك سياسة الملوك الفرنسيين تجاه الربا اليهودي، وأسباب طرد الملك فيليب الرابع لليهود من فرنسا عام ١٣٠٦ م، وأخيراً يعرض البحث موقف الكنيسة الغربية من المعاملات الربوية لليهود وأثره على طردهم من البلدان.

وتعتمد الدراسة على المنهج الوصفي الاستقرائي التحليلي، والمنهج التاريخي الوثائقي في قراءة النصوص واستخلاص المادة التاريخية منها وتحليلها بدقة، ومقارنتها بغيرها للتثبت من صحتها أو زيفها، وكشف أوجه التشابه والاختلاف بينها، بهدف تقديم رواية تاريخية صحيحة حول هذا الموضوع.

وبعد، فأرجو من الله العلي العظيم أن أكون قد وفقت فيما قصدته من هذه الدراسة، والتي لا أدعي فيها الكمال، وحسبي أنني أتعلم وأبحث وأجتهد قدر طاقتي، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

التمهيد

اليهود والعمل التجاري في غرب أوروبا.

من الثابت تاريخياً انتشار اليهود في العديد من دول العالم^(١)، منها دول غرب أوروبا كفرنسا وألمانيا وإنجلترا^(٢)، وبالنسبة لتواجدهم في فرنسا لا يوجد تاريخ مؤكد لظهورهم بها، ولكن يُحتمل أن بعض الجماعات اليهودية عاشت بها خلال

(١) اليهود: جاء المعنى اللغوي لكلمة يهودي من لفظ هاد الرجل، أي: رجع وتاب، وارتبط بهم هذا الاسم لقول نبي الله موسى عليه السلام - كما حكى القرآن الكريم- في قوله تعالى: (إنا هدنا إليك)، واصطلاحاً: هم المتبعون لشريعة التوراة من بنى إسرائيل وغيرهم، فهذه دلالة عامة على كل من يعتنق اليهودية، وطبقاً لذلك نجد أن مصطلح اليهود أعم من بنى إسرائيل، لأن كثيراً من أجناس العرب والروم وغيرهم قد دخلوا في اليهودية وليسوا من بنى إسرائيل، وتُعتبر هذه التسمية هي الثالثة في ترتيب المسميات التي عُرفوا بها، حيث تعتبر تسمية عبراني وإسرائيلي هما الأقدم من ناحية الظهور التاريخي والاستخدام، عن ذلك انظر: سورة الأعراف، الآية الكريمة رقم: (١٥٦).

Dubois, M.J., *L'Exil et la demeuer: Journal de bord d'un Chretien en Israel*, Jerusalem, 1984, pp.55, Remaud, M., *Catholiques et Juifs; Un nouveau regard Note de la Commission pour les relations religieuses avec le Judalsme*, Paris, 1985, pp13-26.

الشهرستاني: "أبى الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ت ٤٧٩ - ٥٤٨ هـ / ١٠٨٦ - ١١٥٣ م"، الملل والنحل، تعليق أحمد فهمي محمد، الجزء الثالث عشر، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٢ م، ص ٢٣٠-٢٣١، القلقشندي: "أبى الفتح أحمد القلقشندي ت ٧٥٦ - ٨٢١ هـ / ١٣١٨ - ١٣٥٥"، صبح الأعشى، الجزء الثالث عشر، دار الكتب السلطانية، القاهرة، ١٩١٨ م، ص ٢٥٣، محمد خليفة حسن أحمد، تاريخ الديانة اليهودية، ط ١، دار قباء، القاهرة، ١٩٨٨ م، ص ٢٢، مرفت محمد عبد الفتاح الديب: دور اليهود في الدولة البيزنطية (في الفترة ٢٧٢ م / ١٠٢٥ م)، ط ١، نور حوران للنشر، دمشق، سوريا، ٢٠٢٠، ص ٥٩ - ٦٠.

(2) Jonson, N.D. & Koyama, M., *Jewish Communities and City growth in Preindustrial Europe*, Geogre Mason university, 2016, P.4.

العصر الروماني المتأخر قبل القرن الرابع الميلادي^(١)، خاصة في إقليم بروفانس province بجنوب فرنسا في مدن، مثل: ناربون Narbonne، آرل Arles وأفينون Avignon، نجت هذه الجماعات وظلت باقية بالرغم من تعرضها لمخاطر الحروب والهجرة بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية في الغرب عام ٤٧٦ م، وفي ألمانيا عاش اليهود في المدن الغربية، مثل: كولونيا Kologne وترير Trier، ولكن لم يعد لهم وجود في هذه المدن منذ نهاية القرن الرابع الميلادي، ومن جنوب فرنسا انتقل اليهود تدريجياً نحو الشمال فعبروا نهر اللوار Loire River في القرن الثامن ووصلوا إلى شمال شرق فرنسا في القرن التاسع الميلادي، لكنهم لم يمارسوا التجارة ولم يمنحوا أي امتيازات مثل التجار^(٢).

وفي العصر الكارولنجي استقدم الامبراطور شارلمان Charlmagne (٧٦٨-٨١٤ م)^(٣)، مجموعة من اليهود من إقليم لومبارديا Lambardia بإيطاليا إلى مدينة ماينز Mainz الألمانية، انتشر هؤلاء اليهود في الأراضي الكارولنجية التي

(1) Romsics, A.C., *The dissolution of the Templar order and the expulsion of the Jews from Toulouse* [MA Thesis , Central European University, Budapest, 2019, p.30.

(2) Patschovsky, A., *The Relationship between The Jews of Jermeny and the King (11th-14th Centuries, in Haver Kamp ,A.& Vollrath, H. (eds.) , England and Jermeny in the High Middle Ages , (oxford university 1996) , pp.195-197.*

(٣) شارلمان: ولد شارلمان حسب رواية إينهارد حوالي عام ١٢٦ هـ / ٧٤٣ م ، ونشأ هو وأخوه كارلومان نشأة الملوك في بيت أبيهم بيبين القصير Pippen وتوجا في حياة أبيهم، ثم انفرد شارلمان بالحكم منذ عام ٧٧١ م حتى وفاته عام ٨١٤ م، وتوج إمبراطوراً للرومان عام ١٨٤ هـ / ٨٠٠ م على يد البابا ليو الثالث، وحكم أوروبا ما يقرب من ستة وأربعين عام عنه انظر:

Duchesne, L., *Les Premiers Temps de L'Etat Pontifical*, Paris, 1911, p.35.

زينب أبو الأنوار، أسواق وتجار أوروبا في العصور الوسطى، دار الآفاق العربية، ط ١، القاهرة، ٢٠١٣، ص ٣٥.

تضم حاليًا فرنسا وألمانيا وشمال إيطاليا، وعملوا في البلاط الملكي وفي التجارة^(١)، وفي عهد الملك شارل الأصغر Charles the Bald (٨٢٣-٨٧٧م) استقدم هو الآخر جماعة من اليهود الإيطاليين إلى بلاده عام ٨٧٥م لممارسة التجارة^(٢).

أما عن اليهود في إنجلترا فلم يكن لهم أي وجود بها قبل الغزو النورماني لها عام ١٠٦٦م، ولكن بحلول عام ١٠٧٠م دعا الملك وليم النورماني الملقب بالفاتح William the Conqueror (١٠٦٦-١٠٨٧م)^(٣)، مجموعة من التجار اليهود

(1)Patschovsky,A.,The Relationship between The Jews of Jermamy and the King ,pp.195-197.

(٢) شارل الأصغر: ابن لويس النقي Louis the pious (١٢٢٦-١٢٧٠م) وحفيد شارلمان، تم تقسيم الامبراطورية عقب وفاة والده فحصل على نستريا وأكوتين والماركية الإسبانية على الحدود الجنوبية.

Hoyt,R.S. & Chodorw ,S., Europe in the Middle ages ,New Yok,1976,p.265, Jonson,N.D.&Koyama,M. Jewish Communities and City groth in Preindustrial Europe , P.4.

هناء بنت محمد الراشد، التاريخ السياسي لإمارة قطالونيا ودورها التجاري في القرنين السادس – السابع الهجري/ الثاني عشر – الثالث عشر الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، المملكة العربية السعودية ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص ٦٤.

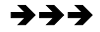
(٣) وليم الفاتح: هو الابن الغير شرعي للدوق روبرت الأول الملقب بالشیطان Robert I (١٠٢٧م- ١٠٣٥م)، ولد وليم حوالي عام ١٠٢٨م في مدينة فالاي Falaise بنورمانديا، من أم تدعى هرلفا Herleve وكانت من أسرة بسيطة الحال، لم يكن لوالده أبناء شرعيون لذلك قرر تعيين ابنه الذي لم يزل طفلاً في سن الثامنة وريثاً على عرش نورماندي، واستطاع أن يقنع البارونات النورمان أو يجبرهم على قبول حكم هذا الطفل الصغير، تمتع بحماية الملك الفرنسي حتى بلغ سن الرشد، امتاز وليم بقوة الشخصية وتحمل أعباء الحكم واستطاع الإمساك بزمام الأمور، واشتهر بمهاراته الدبلوماسية ونجح في كسب مباركة البابا في هجومه على إنجلترا فيما بعد كأنها حرب مقدسه، ولقب بالفاتح بعد هذا الانتصار وفتحه للجزر البريطانية.

See, John Glover, M.A., The chronicles and Memorials Great Britain and Ireland

←←←

من مدينة روان Roan في شمال فرنسا^(١) إلى إنجلترا، وذلك لحاجته إلى المال لتعزيز سلطته ودعم أسرته، وإدارة شئون الدولة وتلبية حاجته العسكرية، وذكر المؤرخ ليونارد Leonard أن الملك وليم نجح في إقناع عدد من كبار الأثرياء اليهود بمغادرة روان والعيش في إنجلترا لأغراض مالية، وكان يشترط على أي يهودي قبل المجيء إلى لندن أن يدفع حصته من الضرائب وفقًا لما هو معمول به في نورماندي^(٢).

إذاً يتضح من ذلك أن يهود إنجلترا عاشوا في فرنسا حتى منتصف القرن الحادي عشر الميلادي، ثم انتقلوا إلى إنجلترا للاستيطان بها بعد دعوة الملك وليم الفاتح لهم.



During The Middle Ages, London, 1865, p. 139, William of Poitiers., the Deeds of William duke of the Norman and Kings of the English, ed by. Douglas, London 1968, p. 219.

(1) Nath, A., Aaron of Lincoln, The Jews Financier and Wealthiest Man of 12th Century England, Quest Journal in Humanities and Social Science, Vol. 9, No. 7, 2021, p. 50.

(٢) في البداية لم يُسمح لليهود بامتلاك الأراضي أو الاستقرار خارج لندن، واقتصرت أنشطتهم غالباً على الإقراض المالي والتجارة والطب، ونظراً لتحريم المسيحية للتعامل بالربا بين المسيحيين، تمكن اليهود من احتكار هذا النشاط بشكل شبه كامل، إضافة إلى ذلك لم يكن اليهود جزءاً من النظام الإقطاعي السائد في إنجلترا، ولذلك كانوا تحت السيطرة المباشرة للملك، كما كانوا في الغالب من سكان المدن، إذ لم تظهر أي سجلات تدل على عملهم في الزراعة أو وجود مستوطنات يهودية في المناطق الريفية، بعد ذلك تمكنوا بفضل الحماية الملكية لهم من الإقامة في أحياء خاصة بهم Jewries في المدن الرئيسية في إنجلترا مثل لندن، أكسفورد وكمبرج، وتملك اليهود بيوتاً، واستأجر الدارسون منهم أيضاً البيوت، وكان لهم بعض قاعات الدراسة، عن ذلك انظر:

Nath, A., Aaron of Lincoln, p. 50, Cf also, Leonard, G.H., The Expulsion of Jews by Edward I, Transactions of the Royal Historical Society, Vol. V, London, 1891, p. 116.

زينب عبدالمجيد، اليهود في إنجلترا العصور الوسطى، ص ١٧-١٨.

والجدير بالذكر أن هؤلاء التجار قد منحوا امتيازات عديدة سهلت لهم القيام بأعمالهم التجارية وجعلتها (من الناحية القانونية على الأقل) أكثر أماناً، مثل: الإعفاء من الرسوم الجمركية وبعض الضرائب الأخرى، وفيما يتعلق بوضعهم الاجتماعي اعتبروا رجالاً أحراراً، وكان لهم الحق الكامل في التصرف في ممتلكاتهم، وامتلاك العبيد غير المعمدين، وتشغيل الخدم المسيحيين في منازلهم والعيش حسب الشريعة اليهودية والترافع أمام محكمة الملك، وكانوا تحت حماية الملك القانونية.

وفي المقابل أصبح اليهود خاضعين للملك وخدماً للبلاط الملكي، ومما يدل على ذلك أن غرامة قتل يهودي تحت حماية الملك حُدثت بعشرة أرطال من الذهب تُدفع للخزانة الملكية وليس لعائلة القتيل، أما الخدمات التي قدمها اليهود للملك فكانت غالباً إحضار البضائع من الخارج إلى البلاط الملكي أو دفع الرسوم المالية للخزانة، ومن اللافت للنظر تزايد النشاط التجاري لليهود في عهد الملك أوتو الثاني Otto II (٩٥٥-٩٨٣م) حتى أصبحوا مصدرًا منتظمًا للدخل في ألمانيا^(١)، أما في فرنسا فقد خضع اليهود الفرنسيون لسلطة اللوردات الإقليميين مما يعني أن سيد الإقليم كان له الحق في جمع الضرائب منهم^(٢).

وهنا يتبادر إلى أذهاننا سؤال وهو لماذا كان هؤلاء الملوك يدعون التجار اليهود للعمل التجاري في بلادهم ؟ يرجع ذلك لعدة أسباب أهمها: أن السيد المسيح أكد على أولوية الجانب الروحي على المادي، كما أن الكنيسة الغربية نظرت إلى الأعمال التجارية على أنها وظائف وضيعة، وهاجمت حب اكتناز المال خاصة المال المُحصل من الأرباح التجارية، وأدان آباء الكنيسة القدامى التجارة؛ لأنه من الصعب

(1) Patschovsky, A., *The Relationship between The Jews of Germany and the King* , pp.195-197.

(2) Romsics, A.C., *The dissolution of the Templar order and the expulsion of the Jews*, p.30.

على التاجر عدم ارتكاب إثم فيها، وأن التاجر لا يُمكنه أن يُرضي الله وإن أمكنه ذلك فبصعوبة، بسبب رغبته في الكسب والتعطش إلى المال والربح بلا حدود، ومن هنا يتولد لديه الجشع الذي يتنافى مع الأخلاق المسيحية^(١).

بالإضافة إلى اعتقاد الناس في ذلك الوقت بأن التجار يقومون بحيل غير أخلاقية للحصول على المكاسب، أهمها احتكار السلع الضرورية وبيعها في وقت الأزمات بأسعار مرتفعة، لذلك امتنع المسيحيون عن العمل في التجارة^(٢)، وكذلك تحريم الكنيسة على اليهود امتلاك الأراضي الزراعية^(٣).

أما بالنسبة للشريعة اليهودية فكانت على العكس تمامًا من المسيحية، فشجعت اليهود على العمل بالتجارة، فجاء في التلمود^(٤) " مهما كنت قد حرثت

(1) Baldwin, J.W., *The Medieval theories of the Just Pice: romanists, Canonists and Theologians in Twelfth and Thirteen Centuries*, Tans, of the American philosophical Society, Vol.49, No.4 (1959), pp1-92, p.15, Gilchrist, J., *The Church and Economic Activity in the Middle Ages*, (London and New York 1969), P.51.

جاك لوغوف، تجار وصيارفة العصور الوسطى، ترجمة / لمياء محمد شرف الدين، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ١، ٢٠٢٢ م، ص ١٠٨-١٠٩، مارك ر. كوهين، وضع اليهود في العصور الوسطى، ترجمة إسلام ديه، معز خلفاوي، ط ١، دار الجميل، بغداد، ٢٠٠٧، ص ١٩٧-١٩٩.

(2) Baldwin, J.W., *The Medieval theories of the Just Pice*, pp1-92, p.15, Gilchrist, J., *The Church and Economic Activity in the Middle Ages*, P.51.

جاك لوغوف، تجار وصيارفة العصور الوسطى، ص ١٠٨-١٠٩، مارك ر. كوهين، وضع اليهود في العصور الوسطى، ص ١٩٧-١٩٩.

(٣) حسن ظاظا، السيد محمد عاشور، اليهود ليسوا تجارا بالنشأة، دار الاتحاد العرب للطباعة، القاهرة، ١٩٧٥، ص ١١٠.

(٤) التلمود: هو مجموعة من القوانين والتفسيرات اليهودية، وهو من أهم المصادر التي تؤثر على الفكر الاقتصادي اليهودي.

Fel, S & Zdun, M., *Judaism and Economics: The Link between Judaism and Economic Life*, *The Person and the Challenges*, 4(2), 2014, p.89.

وزرعت الحقول فإنه لا يزال الأفضل لك الانخراط في الأعمال التجارية فهي ذات فائدة كبيرة لك"، وجاء في نص آخر "على الرغم من رؤيتك وسماعك لكثرة صوت حبوبك، فلا يهم مقدار ما وصلت إليه وغنمت من الزراعة، فإن الأفضل لك التجارة لا الزراعة وإن مائة زوزيم zuzim (عملة نقدية) عائدة من التجارة تتيح لك اللحوم والنبيد يوميًا خير من مائة زوزيم تعمل بها في الزراعة فلن تتيح لك إلا الملح وبعض الخضروات" (١).

بالإضافة إلى ما سبق، امتلك التجار اليهود بعض السمات الشخصية التي ساهمت في نجاحهم في هذه المهنة، منها حرصهم على تعلم القراءة والكتابة والحساب تطبيقًا لتعاليم الحاخامات الدينية، ومعرفتهم بالعديد من اللغات نتيجة لوجودهم في العديد من دول العالم، وسكنهم في المدن الساحلية وتمركزهم حول طرق التجارة، وجمعتهم هوية واحدة وثلاث روابط متينة: الدين والدم والمال، مما عزز من تعاونهم وتماسكهم وجعلهم أقل اختلاطًا بالشعوب الأخرى (٢).

وتعددت صور هذا التعاون، وكان من بينهما تبادل المعلومات التجارية المتعلقة بالأسعار، والسلع الأكثر طلبًا، وكمية المعروض منها، بالإضافة إلى معرفة الطرق الأكثر أمانًا لنقل البضائع لتجنب المخاطر وتحقيق الأرباح في مختلف أنحاء العالم، وبفضل ذلك تمكن التجار اليهود من ممارسة التجارة والحفاظ على دورهم كوسطاء أساسيين في تجارة البحر المتوسط Mediterranean Sea (٣)، وحققوا



مرفت محمد عبدالفتاح، دور اليهود في الدولة البيزنطية، ص ٣٩٦.

(1) Dubnov, S., & Spiegel, M., *History of the Jews; From the Roman Empire to the Early Medieval period*, vol. III, London, 1968, p. 258.

مرفت محمد عبدالفتاح، دور اليهود في الدولة البيزنطية، ص ٣٩٦.

(2) Jonson, N. D. & Koyama, M., *Jewish Communities and City*, P. 5.

(3) Hunt, E. S., & Murray, J. M., *A history of Business in Medieval Europe (1200-1550)* Cambridge university, 1999, P. 28.



أرباحًا هائلة ساهمت في شهرتهم طوال العصور الوسطى بوصفهم طبقة رجال المال في العالم^(١)، ويعود إليهم الفضل في نقل أكثر من ألف سلعة من الشرق للغرب وترجمة اسمها بمختلف اللغات الأوروبية^(٢).

ولا يفهم مما سبق أن النشاط التجاري لليهود كان كبيرًا كما يتبادر إلى أذهاننا، بل على العكس كان هذا النشاط محدودًا حتى نهاية القرن التاسع الميلادي، ويرجع ذلك إلى سوء الأوضاع الاقتصادية والسياسية في الغرب نتيجة للفوضى والدمار الذي أحدثته القبائل الجرمانية^(٣)، وتحول المجتمع إلى مجتمع إقطاعي ذو

→→→

محمد مرسى الشيخ، النظم والحضارة الأوروبية في العصور الوسطى، الشنهابي للطباعة، ١٩٩٨، ص ٦٩.

هبة رمضان محمود العويدي، يهود غرب أوروبا وعلاقتهم ببلاد الشام من كليرمونت ١٠٩٥م حتى سقوط عكا ١٢٩١م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس، كلية البنات، القاهرة، ٢٠٠٩، ص ٢٣-٢٤.

(1) Eisenstadt, S.N., *Jewish Civilization , The Jewish Historical Experince in acomparative perspective*, New York, 1992, p.5.

See, Pirenne, H. & Cohen, G., Focillon, H., *La Civilisation Occidentale au Moyen Age*, Tome VIII, France , 1934, p. 15.

سعيد عبد الفتاح عاشور، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، اليهود في العصور الوسطى "دراسة مقارنة بين الشرق والغرب"، بيروت ١٩٧٧، ص ٨٦.

(2) Pirenne, H. & Cohen, G., Focillon, H., *La Civilisation Occidentale au Moyen Age*, p. 15

نعيم زكى، دور اليهود في تجارة العصور الوسطى بين الشرق والغرب، القاهرة، ١٩٧١، ص ١٥.

(٣) الجرمان: هم مجموعات كثيرة من القبائل التي سكنت المناطق المحيطة بالبحر البلطي وشبه جزيرة إسكندناوة "شمال أوروبا"، من أهمها القوط الغربيون، القوط الشرقيون، الوندال، الفرنجة، الألماي، السويقي، البرجنديون، الفريزيون، السوابي، اللمبارديين، الإنجليز، السكسون، الجوت... وغيرهم، تحدثوا باللغة الهندو-أوروبية، وتميزوا عن غيرهم بصفات جسمانية معينة مثل العيون الزرقاء الحادة، والشعر الأصهب، مع قوة في الجسم؛ مما ساعدتهم على القيام بالأعمال العنيفة القاسية، وكانوا من أقل الشعوب تحملاً للظما والحر، أما البرد فقد تعودوا عليه نتيجة للمناخ والتربة، نجحوا في غزو أوروبا وإسقاط

←←←

اقتصاد طبيعي يقوم على سد حاجات الاستهلاك المحلي وعلى المقايضة، وفي مثل هذه المجتمع تكون للنقود أهمية وقيمة كبيرة^(١).

إضافة إلى وجود بعض المخاطر والصعوبات التي تعرض لها التجار، مثل: وعورة الطرق، وحصول بعض الأسواق على امتيازات خاصة دون غيرها، وزيادة وطأة المكوس والرسوم على التجار لدرجة أن الكثيرين منهم كانوا يعجزون عن دفعها للدولة، ومن جهة أخرى كان كبار الملاك يضعون السلاسل عبر الأنهار والجسور في المناطق التي تقع تحت سيطرتهم لجمع الضرائب، وكانت أي محاولة لاكتشاف طرق جديدة لا تنال إلا السخط من جانب هؤلاء، علاوة على ذلك انخفضت قيمة النقود وقل استخدامها في التعامل، وكان القانون يقف حائلا دون الأرباح الناجمة عن التجارة في أوقات الأزمات، فإذا قلت السلع كانت توقع عقوبات شديدة على التجار الذين يبيعون السلع بأسعار تزيد عن سعرها الطبيعي، ولذلك قل حجم التبادل التجاري^(٢).

وبالنسبة للتجارة الخارجية لم يختلف الوضع كثيرا، فكانت أيضا محدودة بسبب سيطرة المسلمين على البحر المتوسط بعد أن كان بحيرة رومانية خالصة، ومع ذلك استمرت التجارة بين الشرق والغرب^(٣)، وبقي لليهود وحدهم القيام بدور حلقة الوصل التجاري بين الغرب الكاثوليكي والعالم الإسلامي والإمبراطورية البيزنطية الأكثر تقدما في تلك الفترة^(٤).



الإمبراطورية الرومانية الغربية عام ٤٧٦م، وللمزيد عن الجرمان انظر: تاكيتوس، تاكيتوس والشعوب الجرمانية، ترجمة/ إبراهيم علي طرخان، القاهرة، ١٩٥٩، ص ٢٩-٥٠.

(1) (Straus, R., The Jews In Economic Evolution of Central Europe, Jewish Social Studies, No 3, New York, 1941 p.18.

(٣) عفاف سيد صبره، الامبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية زمن شارلمان، دار النهضة العربية، ١٩٨٢، ص ٣٨١-٣٨٢.

(3) Straus, R., The Jews In Economic Evolution.

(4) Hunt, E.S. & Murray, J.M., A history of Business, P.27.

ومع بداية القرن العاشر الميلادي تغيرت الأحوال وحلّت العلاقات التجارية محل العداء بين الطرفين، ولم يعد البحر الأبيض المتوسط يشكل حاجزاً بينهما^(١)، وتعاثت أوروبا من موجات الغزو والتدمير المتتالية، وبدأ فائض الإنتاج في الظهور مما أدى إلى ازدياد حجم التبادل التجاري بين الطرفين، واحتكر اليهود التجارة العالمية طويلة المدى؛ لذا ذاع صيتهم وحققوا شهرة كبيرة، حتى أن كلمة "يهودي" Judaeus أصبحت مرادفة لكلمة "تاجر" Mercator^(٢).

درجة أن الصينيين حينما كانوا يتاجرون في جنوب شرق آسيا كان يُطلق عليهم يهود شرق آسيا، وكذلك الهنود الذين تاجروا في إفريقيا حتى وإن كان بينهم مسلمين كان يطلق عليهم يهود إفريقيا، فلقب "يهودي" خلال تلك الفترة أطلق على كل من يمتن التجارة^(٣).

ومن اللافت للنظر أن التجار اليهود تمتعوا بحرية كبيرة في ممارسة التجارة في العالم الإسلامي، ويعود ذلك إلى تسامح المسلمين مع أهل الذمة، وقدم هؤلاء التجار إلى الشرق حاملين سلعاً، مثل: الفراء والجلود والجواري والغلمان (العبيد)^(٤)، والدليل على

(1) Kallioinen, M., Long distance Trade in Medieval Europe, Oxford Research Encyclopedia of Economics and Finance, Oxford university, 2020, p.2.

(٤) سعيد عبدالفتاح عاشور، اليهود في العصور الوسطى، ص ٨٦.

See, Pirenne, H., & Cohen, G., Focillon, H., La Civilisation Occidentale au Moyen Age, Tome VIII, p. 15.

(٥) محمد مرسى الشيخ، النظم والحضارة الأوروبية، ص ٦٩، هبة رمضان محمود العويدي، يهود غرب أوروبا، ص ٢٣-٢٤.

(٤) سيطر اليهود على تجارة العبيد منذ سقوط الإمبراطورية الرومانية في عام ٤٧٦ م والتي كانت سبباً رئيسياً في الاضطهاد التي تعرضوا لها في الغرب الأوروبي، ويشير المؤرخ هنري هارت ميلمان Heny Hart Milman في كتابه تاريخ اليهود The History of Jews إلى أن اليهود احتكروا تجارة العبيد داخل أوروبا من أجل الشعور بالرضا والانتقام من المسيحيين، ويقول: " فعلى الرغم من انهيار المدن والمؤسسات الدينية كالكنائس والأديرة بسبب الغزوات الجرمانية، ازداد ثراء

ذلك ما ورد في كتاب صورة الأرض " أن جميع من على وجه الأرض من الصقالبة الخصيان فمن جلب الأندلس؛ لأنهم عند قربهم منها يُخصون ويفعل ذلك بهم التجار اليهود " ^(١)، ويقصد بالصقالبة السلاف Slaves الذين تم أسرهم من الأراضي السلافية بشرق أوروبا ^(٢)، وأصبحوا غنيمة مريحة لهؤلاء التجار الذين اشتروهم من

→→→

اليهود وسط هذا الدمار بسبب تجارتهم في العبيد، الذين اشتروهم للخدمة في المنازل بأرخص الأسعار وساقوهم إلى الأسواق المختلفة لبيعهم، وكانوا من أجمل الشباب والفتيات بعضهم من أبناء النبلاء يبيعوا بعد تدهور أحوالهم، ويذكر أيضا أن محاولات الكنيسة لمنع هذه التجارة كانت متكررة لكنها لم تنجح، ويؤكد أن اليهود لم يشاركوا في تجارة العبيد بسبب الظروف الاقتصادية بل بدافع الانتقام من المسيحيين؛ لأن العلاقات التاريخية بين أتباع الديانتين كانت تتسم بالعداء، وكان كل منهما يستغل الفرصة المواتية لتأكيد هيمنته على الآخر، فاليهود كانوا يستمتعون برؤية الدمار الذي حل بالمسيحيين بعد انهيار الامبراطورية الرومانية، واستغلوا الأوضاع الجديدة لتعزيز مكانتهم الاقتصادية، وأشار إلى أنه اعتمد في دراسته على ما جاء بكتاب الكاتب اليهودي إسحاق ماركوس جوست Isaac Marcus Jost تاريخ بنى إسرائيل زمن المكابيين *The History of Israelites in*

The Time of the Maccabees، للمزيد انظر:

phelan,J.,*The Jewish " monopoly' of the slave trade in the early Middle Ages: the origins and enduring historical motif, patterns of prejudice, , vol 57,no3,2023,pp161-165.*

(^١) ابن حوقل: " أبى القاسم محمد ابن حوقل النصيبى "، صورة الأرض، القسم الأول، ط٢، مطبعة بريل، مدينة ليدن ١٩٣٨، ص ١١٠.

Holmes,G., *The Oxford Histoy of Medieval Europe , New York, 1992, pp.214-215.*

زينب أبو الأنوار، أسواق وتجار أوروبا في العصور الوسطى، ص ٩٥.

(٢) السلاف: يعود أصل السلاف إلى أواسط روسيا تعرض هؤلاء القوم لكثير من المتاعب في أوائل العصور الوسطى بسبب ضغط بقية العناصر الآسيوية والجرمانية عليهم مما عرض كثيرا منهم للاستعباد، ونتيجة لذلك اشتقت كلمة عبد في كثيرا من اللغات الأوروبية من اسم السلاف Slave، عن ذلك انظر:

Joseph,C.M., *Slaving and the Funding of Elite Status in Early Medieval Europe (800-1000AD), Berlin ,2024,p.15, Adelson, H.L., Medieval Commerce, New York, 1962,p.69.*

←←←

سوق العبيد في فيردون Verdun بفرنسا (وهو من أشهر المراكز لخصي العبيد خلال هذه الفترة) ^(١)، وباعوهم في أسواق العبيد في بغداد وبخارى " مدينة في أوزبكستان حالياً " وقرطبة في الأندلس وفي مدينة القسطنطينية عاصمة الامبراطورية البيزنطية ^(٢)، واشتروا السلع الكمالية الواردة من الشرق للغرب في الأراضي الإسلامية والمسيحية على حد سواء ^(٣).

وعاد هؤلاء التجار إلى الغرب محملين بخيرات الشرق من السلع النفيسة والفاخرة كالتوابل والأقمشة الحريرية ^(٤)، والبخور والمنسوجات الجميلة "كالسجاد" التي أمدوا بها الكنائس وما زالت تشكل جزءاً من كنوزها إلى الآن، وتاجروا أيضاً في العاج والأحجار الكريمة والأواني الذهبية والفضية والمجوهرات والزجاج، وبالرغم من قلة عددهم في بعض المدن احتكروا تجارة الأصباغ، مثل: الخشب البرازيلي واللازورد، أما زبائنهم فكانوا من الملوك وكبار الملاك والنبلاء وأتباعهم؛ لأن هذه السلع المذكورة كانت بمثابة كماليات لتلك الطبقة الأرستقراطية، وحرص هؤلاء التجار على

→→→

سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا في العصور الوسطى، ج ١، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٤م، ص ٧٧، لوبيز (ر)، ثورة العصور الوسطى التجارية، ٩٥٠-١٣٥٠م، ترجمة / محمود أحمد أبو صوة، منشورات Elga، مالطا، ١٩٩٧م، ص ٧٧.

(1) Holmes, G., *The Oxford Histoy of Medieval Europe* , pp.214-215.

زينب أبو الأنوار، أسواق وتجار أوروبا، ص ٩٥.

(٢) كانت الدولة العباسية وكذلك الدولة السامانية في آسيا الوسطى من أكبر مستوردي العبيد من الخارج، بسبب تحريم الإسلام استعباد المسلمين، أما في الدولة البيزنطية فاعتمد عليهم الأتراك في العمل بالقصور كخصيان ومحظيات وفي الجيش، كما عملوا في الخدمة المنزلية وزراعة الحقول.

Joseph, C.M., *Slaving and the Funding of Elite Status*, pp.7-14.

(3) Holmes, G., *The Oxford Histoy of Medieval Europe* , pp.214-215.

(٤) كان الفلفل أهم بهار يطلب في أوروبا لأنه كان نادراً لذلك استعمله التجار في بعض الأحيان بديلاً عن النقود، عن ذلك انظر:

Straus, R., *The Jews In Economic* , pp.18-19.

توفير وسائل نقل آمنة ونُظم تمويل تعتمد على الثقة المتبادلة بينهم وبين التجار في الشرق، ولذلك تمتعوا بثراء عظيم^(١).

ونتيجة لكثرة ترحال هؤلاء التجار توسعت أعمالهم التجارية فلم تعد تقتصر على الدولة البيزنطية والعالم الإسلامي فقط، بل وصلوا إلى الهند والسند والصين ونجحوا في جلب العطور، مثل: المسك والعود، والأعشاب الطبية، مثل: الكافور والدار صيني وغير ذلك من المنتجات التي اشتهرت بها تلك البلاد^(٢).

ويتضح من ذلك اعتماد الكنيسة على تجارة اليهود في تزويدها بكل ما تحتاج إليه، وكذلك الطبقة الأرستقراطية التي كانت وبلا شك تنتظر مجيء هؤلاء التجار من رحلاتهم، وبخاصة النساء للحصول على الحلى والمجوهرات والملابس الأنيقة التي اشتهرت بها النساء في الشرق.

وعلى الرغم من اتساع النشاط التجاري لليهود، فقد استبعدوا من الوساطة التجارية بين الشرق والغرب في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي لعدة أسباب، منها الهدوء والاستقرار السياسي الذي شهدته دول غرب أوروبا بانتهاء غزوات قبائل

(1) Abulafia, D., *The Jews of Sicily and Southern Italy: Economic Activity.*, In Touch, M., (Ed.), *Archivio Storico per la Sicilia Orientale*, (pp.49-62), Cambridge University, 2008, p.50.

Hunt, E.S. & Murray, J.M., *A History of Business*, P.27.

محمد عبد الغني الأشقر، تجارة التوابل في مصر، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٩، ص ٣٧-٤٦،،
ترتون (أ.س) أهل الذمة في الاسلام، دار المعارف، ط ٢، ١٩٦٧م، ص ١٠١، سلام شافعي
محمود سلام، أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الثاني والعصر الأيوبي، دار المعارف،
١٩٨٢، ص ١٨٩، أحمد عثمان، تاريخ اليهود، مكتبة الشروق، (د.ت) ج ٢، ص ١٦٨.

(٢) ابن خرداذبة: "أبو القاسم عبيد الله ابن عبد الله ت حوالى ٢٣٦هـ / ٨٥٠م"، المسالك
والممالك، مطبعة بريل، ليدن، هولندا، ١٨٨٩، ص ١٥٣-١٥٤.

عفاف سيد صبره، العلاقات بين الشرق والغرب، دار النهضة العربية، ١٩٨٣م، ص ١٧٠.

نعيم ذكى، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، القاهرة، ١٩٧٣، ص ٢٠١-٢٠٢.

الفايكنج^(١)، مما أدى إلى نشأة المدن وازدهار التجارة، وكذلك الإصلاح الكنسي الذي ارتبط بدير كلوني ورهبانه Cluni Abby^(٢)، بالإضافة إلى الحروب الصليبية وما ترتب عليها من تحطيم نظام الضيعة الزراعية Manorial System^(٣).

ونتيجة لهذه التغييرات أصبحت الطرق التجارية آمنة وزالت المخاطر مما أدى إلى تقلص دور اليهود كوسطاء في التجارة مع الشرق^(٤)، وحل محلهم تدريجياً تجار المدن الإيطالية ونجحوا في إقامة علاقات تجارية وثيقة مع المدن التجارية

(١) الفايكنج: أطلق اسم الفايكنج على الشعوب الجرمانية التي سكنت شبه جزر إسكندنافيا Scandinavia وشبه جزيرة الدانمارك Denmark في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين ، وهذه الكلمة مشتقة من الكلمة الإسكندنافية القديمة Vik والتي تعني جدول مائي والتي استخدمت للدلالة على السكان الذين يعيشون في مناطق الخلجان والجدول المائية الصغيرة وشاع استخدامها لهؤلاء المحاربين الذين تركوا أوطانهم في إسكندنافيا واندفعوا إلى العالم الغربي في ذلك الوقت، للمزيد انظر: عمر عبد المنعم إمام، الفايكنج والإمبراطورية الكارولنجية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، القاهرة ، ٢٠٠٩ ، ص ١٢.

(٢) دير كلوني: ظهرت الحركة الكلونية Cluni في القرن العاشر الميلادي كاحتجاج ضد انهماك رجال الدين في الشؤون الدنيوية على حساب الشؤون الروحية ، نادت هذه الحركة بإصلاح الكنيسة وتحريرها من سيطرة ونفوذ الأباطرة والملوك، وتطهيرها من المفساد والشرور التي تغلغت بها، عن ذلك انظر: إيمان على محمد عوض، النهضة العلمية في أوروبا في القرن الثاني عشر الميلادي، نور حوران، ط ١، ٢٠٢١، سوريا، ص ١٠٧.

(3) Straus, R., *The Jews In Economic Evolution*, pp.21-22.

موريس بيشوب، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة على السيد على، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٢٠٥.

لوبيز (ر)، ثورة العصور الوسطى التجارية، ص ٧٧.

(٤) هنري بيرين، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى (الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ترجمة عطية القوصي، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ١٢٨، لوبيز، ثورة العصور الوسطى، ص ٨٢-٨٣.

الكبرى في الشرق^(١).

بالإضافة إلى حركة الاضطهادات التي طالتهم خلال فترة الاستعداد للحملة الصليبية الأولى منذ ديسمبر ١٠٩٥ - يوليو ١٠٩٦م، فرأى الفرسان المشاركون في هذه الحملة ضرورة التخلص من أعداء المسيح في بلادهم قبل الرحيل إلى الشرق الإسلامي، معتقدين أن قتل اليهود سيؤدي إلى غفران جميع خطاياهم، وبالفعل وقعت بعض المذابح ضد اليهود في غرب أوروبا على الرغم من محاولة الكنيسة والسلطات المحلية حمايتهم، مما أدى إلى توقف نشاطهم التجاري خوفاً على حياتهم^(٢).

ويعلق المؤرخ اليهودي ميشيل توخ Michael Toch على ذلك بأن سبب اضطهاد اليهود هو امتلاكهم للثروات التي أثارت طمع المعتدين، ومما يدل على ثراء اليهود الرشاوى التي دفعت للصليبيين وسلطات المدن الألمانية عام ١٠٩٦م؛ لعدم المساس بهم^(٣).

نتيجة لما سبق اتجه اليهود إلى العمل بالربا خاصة بعد تزايد طلب المشاركين في الحملة الصليبية الأولى على الاقتراض منهم، ومنذ ذلك الوقت أصبح هذا العمل وظيفتهم الأساسية، خاصة وأنهم لم يتقيدوا بقوانين الكنيسة التي تحرم الربا^(٤).

(١) عطية القوصي، أضواء جديدة على تجارة الكارم، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، المجلة التاريخية المصرية، المجلد ٢٢، ١٩٧٥، ص ٢٨.

(٢) زينب عبدالمجيد، اليهود في إنجلترا العصور الوسطى، ص ٣٠-٣١.

(3) Touch, M., *Wirtschaft und Verfolgung: Die Bedeutung der Ökonomie für die Kreuzzugspogrome des 11. und 12. Jahrhunderts. Mit einem Anhang zum Sklavenhandel der Juden. In J. Fried (Ed.), Juden und Christen zur Zeit der Kreuzzüge* (pp. 253-288). München: R. Oldenbourg Verlag, (2003), pp.258-260.

(4) Straus, R., *The Jews In Economic Evolution*, p.23.

١- الربا وموقف الشرائع السماوية من ممارسته:

تعريف الربا:

الربا " usury " هو لفظ مشتق من المصطلح اللاتيني " Usuria " بمعنى الفائدة أو الفائدة المفرطة، وكلمة فائدة مشتقة من الفعل اللاتيني "Interesse" ومعناه الزيادة على الأصل^(١)، ويعرف بأنه الربح الاستغلالي وغير القانوني وفقاً للعادات والثقافة والقوانين، ومع ذلك تغيرت الدلالات بمرور الوقت، فخلال القرن الثاني عشر الميلادي كان الربا بمعنى الابتزاز، السرقة، الاحتيال، السعر غير العادل، وتحصيل مال أكثر مما قُدم للمقترض^(٢)، وهو من الممارسات التي نالت كراهية عالمية وأدانته الشرائع السماوية والأنبياء، والكهنة والفلاسفة، وأيضاً الشعراء وكثيراً ما كان يُنظر إليه باعتباره من أبشع الجرائم^(٣)؛ لأنه بمثابة عنف يُمارسه الأغنياء ضد الفقراء، مما يؤدي إلى اتساع الفجوة بين الطبقات الاجتماعية^(٤).

وفيما يأتي نحاول أن نظهر موقف الشريعتين اليهودية والمسيحية من الربا:

موقف الشريعة اليهودية من الربا:

وفيما يخص موقف الشريعة اليهودية من الربا فهناك رأيان حول هذه المسألة، الرأي الأول: والذي ينص على تحريم الشريعة اليهودية للربا تحريماً

(1) Amira sami, Sami Ul Haq and Others, Usury Laws in Judaism: A Critical Study, Palarch's Journal of Archaeology of Egypt/ Egyptology 19(4), 2022, P.1498.

(2) Mell, J., Usury as Deviance in Medieval Europe, Amsterdam University, 2023, p.122.

(3) Vincent, J., Historical, Religious and Scholastic Prohibition of Usury: The Common Origins of Western and Islamic Financial Practices, Seton Hall University, 2014, P.2, Lupovitch, H. N., Jews and Judaism in World History, London and New York, 2010, P.77.

(4) Adamo, S., Alexander, D. & Fasiello, R., Usury and Credit Practices in Italy in Middle Ages, Accounting and Culture Review Forthcoming, 2018, p.3.

مطلقاً^(١)، وأتباع هذا الرأي يرون أن الشريعة حرمت الربا تحريمًا قاطعًا، ومنهم الحاخام شلومو بن إسحاق ويدعى راشي Rashi الفرنسي (١٠٤٠-١١٠٥م) وهو من أبرز حاخامات اليهود، والذي وصف الربا " بأنه كلدغة الثعبان، في البداية تُحدث جرحًا صغيرًا في قدم الشخص دون أن يشعر به، ولكن فجأة ينتفخ الجسم بالكامل حتى الرأس، وهكذا الحال مع الربا، في البداية لا يشعر المرء بالاستنزاف الذي يُسببه له الربا، ويظل غير ملحوظ حتى تتراكم الفوائد فجأة وتجعل الشخص يخسر كل أمواله"، وكذلك يعقوب بن آشر Jacob ben Asher (١٢٦٩-١٣٤٠م) وهو فقيه يهودي بارز، أضاف أن "المرايين محكومٌ عليهم بالفقر، وكأنهم أنكروا إله بنى إسرائيل وخروج بنى إسرائيل من مصر"، كما أدان الفيلسوف اليهودي موسى بن ميمون Moses ben Maimon (١١٣٨-١٢٠٤م) الربا باعتباره عملاً يؤدي إلى الكفر قائلاً: " من يكتب عقد قرض ربوي كأنه يشهد بأنه ليس له نصيب في إله بنى

(١) تنقسم المصادر التي تعتمد عليها الشريعة اليهودية إلى قسمين:

أولاً: صادر مكتوبة ويتضمنها العهد القديم وهي: التوراة وتتكون من خمسة أسفار، الأسفار التاريخية تتكون من اثني عشر سفرًا تعرضت لتاريخ اليهود، أسفار الأناشيد وهي خمسة أسفار وهي جزء من التراث الأدبي اليهودي، أسفار الأنبياء تحتوي على سبعة عشر سفرًا تتحدث عن الأنبياء من بعد موسى، ثانيًا: المصادر الشفهية (غير المكتوبة): وتشمل التلمود وهو مدون ومكتوب، ويُطلق على هذه المصادر شفوية لأنها دُونت في مرحلة متأخرة بعد نزول التوراة، وفي بداية القرن الثالث قام أحد الأرباب بجمع نصوص التوراة وما ورد عليها من تفسيرات في كتاب عرف بالمشنا (يعني السنة أو المكرر)، ثم قام أحد أحبار اليهود بتناول هذا الكتاب بالشرح والتفسير وعرف هذا العمل باسم الجيمارة، ومع مرور الزمن اكتسبت تلك الشروح أهمية كبيرة فأطلق على المشنا والجيمارة معا (التلمود) ويعني الدرس والتحصيل والمعرفة، وهو أقدم موسوعة تحتوي على القوانين والشعائر الدينية اليهودية، عن ذلك انظر: هبة رمضان محمود العويدي، يهود غرب أوروبا وعلاقتهم ببلاد الشام، ص ٣٢.

إسرائيل " (١).

وقد استدل هؤلاء بالعديد من النصوص التوراتية في العهد القديم التي جاء فيها النهي عن الربا صريحًا، منها: " يَا رَبِّ، مَنْ يَنْزِلُ فِي مَسْكَنِكَ؟ مَنْ يَسْكُنُ فِي جَبَلٍ قُدْسِكَ؟ الرد " السَّالِكُ بِالْكَمَالِ، وَالْعَامِلُ الْحَقَّ، وَالْمُتَكَلِّمُ بِالصِّدْقِ فِي قَلْبِهِ، الَّذِي لَا يَشِي بِلِسَانِهِ، وَلَا يَصْنَعُ شَرًّا بِصَاحِبِهِ، وَلَا يَحْمِلُ تَغْيِيرًا عَلَى قَرِيبِهِ، وَالرَّذِيلُ مُحْتَقَرٌ فِي عَيْنَيْهِ، وَيُكْرِمُ خَائِفِي الرَّبِّ. يَخْلِفُ لِلضَّرَرِ وَلَا يُغَيِّرُ فَضْئَهُ لَا يُعْطِيهَا بِالرَّبَا، وَلَا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ عَلَى الْبَرِيِّ، الَّذِي يَصْنَعُ هَذَا لَا يَتَرَعَّرُ إِلَى الدَّهْرِ" (٢).

وفي سفر الخروج حرم الله الربا قائلا: " إِنْ أَقْرَضْتَ فِضَّةً لِشُعْبِي الْفَقِيرِ الَّذِي عِنْدَكَ فَلَا تَكُنْ لَهُ كَالْمُرَابِي، لَا تَضَعُوا عَلَيْهِ رِبَا " (٣)، وهذا واضح أيضًا في سفر اللاويين: " وَإِذَا افْتَقَرَ أَخُوكَ... لَا تَأْخُذْ مِنْهُ رِبَا وَلَا مُرَابِحَةً بَلْ اخْشَ إِلَهُكَ فَيَعِيشَ أَخُوكَ مَعَكَ " (٤).

أما الرأي الثاني: فحرم التعامل بالربا بين اليهود وبعضهم فقط، وأباح لليهودي التعامل بالربا مع " الأجنبي " واستند أصحاب هذا الرأي إلى ما جاء في بعض النصوص التوراتية مثل سفر التثنية " لَا تُفْرِضْ أَخَاكَ بِرِبَا، رِبَا فِضَّةٍ، أَوْ رِبَا طَعَامٍ، أَوْ رِبَا شَيْءٍ مِمَّا يُفْرِضُ بِرِبَا، لِلْأَجْنَبِيِّ تُفْرِضُ بِرِبَا، وَلَكِنْ لِأَخِيكَ لَا تُفْرِضُ بِرِبَا، لِكَيْ يُبَارِكَكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ فِي كُلِّ مَا تَمْتَدُّ إِلَيْهِ يَدُكَ فِي الْأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا

(1) Schiffman, D.A., "Usury in Medieval Jewish Thought", Palgrave Hand book of Philosophy and money, edited by, J. Tinguely, Vol, I, Palgrave, 2022, p.5.

(٢) العهد القديم، سفر المزامير: الإصحاح ١٥ / ١-٥.

(٣) سفر الخروج، الإصحاح رقم ٢٢ / ٢٥.

Vincent, J., Historical, Religious and Scholastic Prohibition of Usury, P.16.

(٤) سفر اللاويين، الإصحاح رقم ٢٥ / ٣٥-٣٧.

John, T. & Noonan, J.R., Authority, Usury and Contraception, Vol. 16, No. 1, University of North Carolina Press, 1966, p.56..

لِتَمْتَلِكَهَا" ^(١)، وجاء أيضًا في المشنا " بإمكان الإنسان أن يقرض ويفترض برها من الكافر"، وجاء في التلمود " إذا أردت أن تقتل الأجنبي بغير أن يثبت عليك علامات القتل فاستعمل الربا " ^(٢).

ومما سبق يتبين أن الشريعة اليهودية اشتملت على رأيين فيما يخص تحريم الربا، ومن المؤكد أن الرأي الأول هو الصواب؛ لأن كل الشرائع السماوية - الإسلام والمسيحية واليهودية - حرمت الربا ونهت عن ممارسته، بل وغلظت عقوبة من يقوم بذلك، أما ما وضعه اليهود من نصوص في المشنا والتلمود لتبرير ممارسة الربا كان دافعه الكسب المادي والسيطرة على رأس المال في المجتمع.

موقف الشريعة المسيحية من الربا:

أدانت المسيحية الربا وحرمت ممارسته واعتبرته الكنيسة الغربية خطيئة لا تغفر، لأنه يظهر جشع الإنسان ويحول به إلى كائن استغلالي، وعرفته " بأنه وجود سعر فائدة بأي مبلغ حتى وإن كان زهيدا " ^(٣)، واستندت على عدة نصوص تحرم الربا، منها ما جاء في العهد الجديد بإنجيل لوقا حيث تم تحريم الربا على لسان المسيح قائلا "وَأَنْ أَفْرَضْتُمْ الَّذِينَ تَرْجُونَ أَنْ يَسْتَرِدُّوا مِنْهُمْ، فَأَيُّ فَضْلٍ لَكُمْ؟ فَإِنَّ الْخُطَاةَ أَيْضًا يُفْرَضُونَ الْخُطَاةَ لِكَيْ يَسْتَرِدُّوا مِنْهُمْ الْمِثْلَ، بَلْ أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ، وَأَحْسِنُوا وَأَقْرِضُوا وَأَنْتُمْ لَا تَرْجُونَ شَيْئًا، فَيَكُونَ أَجْرُكُمْ عَظِيمًا وَتَكُونُوا بَنِي الْعَلِيِّ، فَإِنَّهُ مُنِعَ

(١) سفر التثنية، الإصحاح رقم ٢٣ / ١٩-٢٠.

Vincent.J., Historical , Religious and Scholastic Prohibition of Usury, P.17, Schiffman,D.A., "Usury in Medieval Jewish Thought", p.9.

(٢) عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، ط ١، ١٩٩٩، ص ٢٥٩.

(3) Adamo,S.,Alexander,D.,&Fasiello,R. Usury and Credit,pp.8-10.

عَلَى غَيْرِ الشَّاكِرِينَ وَالْأَشْرَارَ " ^(١)، وجاء أيضًا في إنجيل متى " مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَفْتَرِضَ مِنْكَ فَلَا تَرُدَّهُ " ^(٢).

ويفهم مما سبق أن القرض يجب أن يكون بدافع المحبة والعطاء وليس لأجل الربح، وإعطاء الصدقة للفقراء وإقراض المحتاج بدون فائدة.

كما أدان آباء الكنيسة القدامى الربا وممارسته، وكان من أبرزهم القديس أمبروز St.Ambrose (٣٣٣-٣٩٧ م) ^(٣)، الذي عرف الربا بأنه كل ما يُضاف إلى رأس المال سواء كان غداء أو كساء أو مالا أو شيئا آخر، وأن العمل به انتهاكٌ لشريعة الله وأن المرابي مصيره إلى الجحيم في الآخرة، فالربا عمل غير أخلاقي وشكل من أشكال الاستغلال المادي لأناس ضعفاء يتم الاستفادة من حاجتهم، كما أنه يقوض العدالة الاجتماعية لأنه يعزز التفاوت بين الأغنياء والفقراء، إضافة إلى أنه يتناقض تمامًا مع مبادئ وتعاليم المسيحية التي تدعو إلى التضامن والمحبة ^(٤). كما حذر القديس أوغسطين Augustine ^(٥) من الربا خلال عظاته قائلاً:

(١) إنجيل لوقا: ٦/٣٤-٣٥.

(٢) إنجيل متى: ٥/٤٢.

Vincen t.J., *Historical , Religious and Scholastic Prohibition of Usury*, P.17.

(٣) القديس أمبروز: ولد في تريير Trier في عام ٣٣٣ م أو ٣٣٤ م وهو من أبرز آباء الكنيسة الغربية الأوائل، توفي في ميلان عام ٣٩٧ م.

Charles , S., *The Classical Latin Quotations in Letters of St.Ambrose, Greece&Rome,Second Series, Vol.15, Vo.2, (October.1968), pp.186-187.*

(4) Ambrose, *De Tobia,in Sancti Ambrosii Mediolanensis Opera omnia , Pars prima , ed. P.A. Ballerini , Patrologia Latina , vol. 14 , Milan,1875, (14:49) Col,780- 781.*

(١) القديس أوغسطين: كاتب وفيلسوف من أصل لاتيني ولد في طاعاست (حاليا سوق أهراس، الجزائر) في ١٣ نوفمبر سنة ٣٥٤ م من أب وثني وأم مسيحية، وأحد أهم الشخصيات المؤثرة في المسيحية الغربية، تعدّه الكنيستان الكاثوليكية والأنجليكانية قديسا وأحد آباء الكنيسة البارزين. للمزيد عنه انظر: اعترافات القديس أوغسطينوس، ترجمة: الخورى يوحنا الحلو، دار المشرق،

" يحرم على الإنسان أن يُقرض ثم يأخذ أكثر مما يستحق؛ لأن الله لا يريد ذلك، وأن المرابين أنفسهم يعرفون كم هو بغيض ومثير للاشمئزاز " وعرف الربا بأنه " أخذ المرابي لمال أكثر مما قدم، وأن خطيئة المرابي لا تغتفر إلا بإرجاع المال الزائد الذي حصل عليه " ^(١)، أما العالم والمفكر الكنسي بطرس لمبارد (Beter Lombard ١٠٩٥ - ١١٦٠م) ^(٢)، فصنفه في كتاباته بأنه جريمة ووضعه جنباً إلى جنب مع جرائم السلب والنهب والاحتيال ^(٣)؛ لأن المرابي يتظاهر بتقديم المساعدة للفقراء في حين أنه يستغل حاجتهم، مما يؤدي إلى استعبادهم اقتصادياً وأخلاقياً، وتؤكد النصوص أن المرابين لا يخطئون فقط بحق الفرد بل في حق الله والمجتمع ^(٤).



لبنان، ١٩٩١م، ص ١-٢.

(1) Augustine, on Expositions on Psalms, Patrologia Latina, vol,36, ed.J.P.Migne, 1944, vol,36, Col.386-493, From John, T.& Noonan, JR. Authority, Usury and Contraception, Vol. 16, No. 1, University of North Carolina Press, 1966, p.59.

ياسر كامل محمود، البابوية ويهود غرب أوروبا عصر الحروب الصليبية، ص ٢٣٣.

(٢) بطرس لمبارد بين عامي ١٠٩٥ - ١١٠٠م، في منطقة نوفارا Novara بمنطقة لومبارديا Lombard شمال إيطاليا وتوفي عام ١١٦٠م؛ سافر إلى فرنسا لدراسة اللاهوت والفلسفة ^(٢)، وتولى رئاسة أسقفية باريس، وهولميدز أبيلارد واتبع مذهبه وقام بنشر تعاليم أستاذه ومبادئه التي صنفها في عمله الشهير بعنوان الجمل .Sententiae in quatuor

Rosemann , W. P., Peter Lombard , Oxford , 2004 , P. 34.

(3) Ashley, W.J., Economic History and Theory, Vol.I, London , 1894, p.158.

ياسر كامل محمود، البابوية ويهود غرب أوروبا عصر الحروب الصليبية، ص ٢٣٣.

ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة / محمد بدران، مكتبة الأسرة، ط ١، القاهرة، ٢٠٠١م، مجلد ٨، ص ١٠٥.

(4) Ihssen, B.L., Basil and Gregory's Sermons on Usury: Credit Where Credit is due, Journal of Early Christian Studies, 16 (3), 2018, P.403, Munro, J., The Usury Doctrine and Urban Public Finances in Late-Medieval Flanders (1220-1550): Rentes, (Annuities), Excise Taxes, and Income Transfers from the Poor to the Rich, University of Toronto, Toronto, Canada, 2017, p.4.

إذا يتضح من النصوص الواردة في الكتاب المقدس أن الربا حُرْم على المسيحيين، وجرمه آباء الكنيسة ويجب على من يمارسه التوبة ورد الفائدة لمستحقيها، والكف عن إلحاق الأذى بالناس.

وهذا يتوافق مع ما جاء في القرآن الكريم الذي حرم الربا وغلظ عقوبة فاعله إذا لم يكف عن العمل به ويتوب، بأن مصيره جهنم خالدًا فيها في الآخرة قال تعالى: "الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" (١).

ويشير المؤرخ كانتور هنا إلى نقطة مهمة وهي أن المرابين اليهود قد فسروا التحريم الوارد في الكتاب المقدس ضد الربا تفسيرًا جعله قاصرًا على التعامل داخل المجتمعات اليهودية وحدها، وأباحوا التعامل بالربا بين اليهود والأميين، والواقع أن زعماء الكنيسة المسيحية قد توصلوا لنفس الاستنتاج؛ إذ إنهم فسروا نفس الأقوال الواردة في الكتاب المقدس على أنها تحرم المعاملات بالربا بين الإخوة المسيحيين (على الرغم من أن هذا التحريم كان ينتهك فعلاً على أوسع نطاق)، وفي نفس الوقت سمحوا لليهود بممارسته داخل المجتمع نظراً لحاجة الاقتصاد الأوروبي لأموالهم وهذا يُدلل على أنهم سمحوا بممارسة المسيحيين للربا مع غيرهم (٢).

٢- المعاملات الربوية لليهود وأثرها على طردهم من إنجلترا عام ١٢٩٠ م:
يُشير المؤرخون إلى أنه مع بداية القرن الثاني عشر الميلادي بدأ اليهود في

(١) سورة البقرة، الآية الكريمة رقم (٢٧٥).

(٢) كانتور، نورمان: التاريخ الوسيط، قصة حضارة البداية والنهاية، ترجمة وتعليق / قاسم عبده قاسم، ج ٢، دار عين للدراسات والبحوث، ط ٥، القاهرة، ١٩٩٧ م، ص ٥٠٠.

ترك التجارة تدريجياً وانتقلوا إلى الإقراض المالي؛ لأنه لا سبيل أمامهم للعيش سوى ذلك خاصة وأنهم كانوا يمتلكون رأس المال ^(١)، الذي يحتاج إليه الاقتصاد الغربي بشدة لتمويل المشروعات الزراعية والصناعية، إضافة إلى ذلك حاجة الطبقة الارستقراطية الميسرة للمال، فالنبلاء كالملوك والدوقات والأمراء كانوا بحاجة شديدة للمال للإنفاق على الحروب وبناء القلاع، بينما اقترض رجال الدين لبناء الكاتدرائيات والأديرة، وفي وقت لاحق بدأت الطبقة المتوسطة والدنيا أيضاً في اللجوء إلى القروض، لأن الموارد المالية لدى معظم السكان ارتبطت بالزراعة بطيئة الإنتاج مما زاد من الحاجة إلى الاقتراض ^(٢).

وهكذا أقرض اليهود المال لكل هذه الفئات لتتمكن كل فئة من تحقيق أهدافها، لكن وكما يحدث عادة في مثل هذا النوع من المعاملات المالية، فكثيراً ما يكون المدين فريسة للدائن بسبب تراكم الديون فتزداد أرباحها وفوائدها الفاحشة، فيعجز المدين عن سدادها ويصبح هو وأملاكه تحت رحمة الدائن وبالتالي تتولد الكراهية والعداء للدائن ^(٣).
وهذا ما سنتحدث عنه بالتفصيل في إنجلترا:

حرص ملوك إنجلترا على تطبيق التعاليم الدينية التي تحرم التعامل بالربا بين المسيحيين، لذا اعتمدوا على اليهود في التجارة وإقراض المال وبذلك، أصبح اليهود جزءاً من الخزنة المالية للتاج منذ بداية القرن الثاني عشر الميلادي، أي كموارد

(1) Touch, M., *Economic activities of Jewish Communities in Medieval Germany*, na 2008, p.190.

(2) Noonan J., *The Scholastic Analysis of Usury*, Cambridge: Harvard University Press, 1957, p.171, Luzzatto G., *Storia economica di Venezia dall'XI al XVI secolo*, Marsilio, 1995, p.88.

كانتور، التاريخ الوسيط، ج ٢، ص ٥٠١.

(٣) سعيد عبد الفتاح عاشور، اليهود في العصور الوسطى، ص ٨٧.

حصرية له وهو ما يعكسه مصطلح "Servi Camerae Regis" (أقنان خزانة الملك)، فلم يكن الأمراء الإقطاعيون أو النبلاء الكبار يشاركون الملك في سيادته المباشرة على اليهود، بل كانوا خاضعين لسلطة الملك المباشرة، لذلك يمكن اعتبار اليهود في إنجلترا خلال القرنين الثاني والثالث عشر الميلاديين خاضعين بشكل مباشر وواضح لسلطة ملكية مركزية أقوى مما كان عليه الحال في فرنسا وألمانيا^(١). ولذلك منح هؤلاء الملوك اليهود العديد من الامتيازات التي تمكنهم من ممارسة أعمالهم، فمع تولي هنري الأول Henry I (١١٠٠-١١٣٥ م) للعرش^(٢)، أصدر ميثاقاً ملكياً سلمه لجوزيف Joseph الحاخام الأكبر لليهود في مدينة لندن London حدد فيه وضعهم القانوني لما بعد عام ١١٣٥ م، سمح لهم فيه بحرية التنقل داخل المملكة، والإقامة في أي مدينة يرغبون في السكن بها بتصريح منه، وكذلك الإعفاء من الرسوم والمكوس، وحياسة الأراضي الزراعية المرهونة حتي سداد الدين، كما أعطاهم الحق في التصرف في الرهن بعد الاحتفاظ به لمدة عام ويوم، لأن القروض كانت تسلم في الغالب بضمان رهن الأراضي الزراعية، ومنحوا أيضاً الحق في القسم على التوراة^(٣)، وأن تتم محاكمتهم أمام أقرانهم وذلك مقابل إقراض الملك ودفع الضرائب المقررة عليهم؛ لأن الملك وضع لنفسه ضريبة على المعاملات المالية

(1) Patschovsky, A. *The Relationship between The Jews of Jermamy and the King* , p.208.

(٢) هنري الأول: هو الابن الأصغر للملك وليم الفاتح، حكم إنجلترا بعد أخيه وليم الثاني (١٠٨٧-١١٠٠ م)، تزوج من ابنة ملك اسكتلندا مالكوم الثالث Malcom III (١٠٥٦-١٠٩٧ م) ماتيلدا Matilda في عام ١١٠٠ م، وحفل عهده بالكثير من الإنجازات في الناحية العسكرية والإدارية:

See, *The Cronical of Henry of Huntingdon Comprising Henry of Huntingdon, the History of England from the invasion of Julius Caesar to the accession of Henry II*, Trans By, Thomas Fastor, London, 1853, pp.239-240.

(3) Nath, A., *Aaron of Lincoln* , p.50.

لليهود مقابل حمايتهم^(١).

إضافة لما سبق منح الملك هنري الثاني Henry II (١١٥٤-١١٨٩م)^(٢)، اليهود المزيد من الامتيازات التي عززت من وجودهم في إنجلترا، فسمح لهم أن تتم محاكمتهم أمام أقرانهم وفقاً للشريعة اليهودية في جميع المنازعات التي تنشب بين اليهود فيما عدا الجرائم الكبرى، في محكمة خاصة بهم تعرف باسم دين Beth Din، مكونة من ثلاث قضاة من اليهود يعرف كل منهم باسم الديان Dayanim ومعناه بالعبرية القاضي، وأطلق على رئيس هذه المحكمة اسم Arch Presbyter وهذا المنصب يعادل منصب الحاكم في العصر الحديث، وكان الملك يعينه مدى الحياة، كما منحهم ترخيصاً ببناء مدافن خاصة بهم خارج أسوار المدن التي يعيشون بها، مما أزاح عن كاهلهم عبء نقل جثامين موتاهم للنقل عبر الطرق الوعرة مما شجعهم على الإقامة في المدن البعيدة عن العاصمة^(٣).

نتيجة لذلك استقرت أوضاع الجالية اليهودية المالية والسياسية في عهده،

(1) Hayms, P.R., *The Jews in Medieval England 1066-12090*, In: Haverkamp, A. & Vollrath, H., (Eds), *England and Germany in High Middle Ages* (pp.173-192), Oxford university press 1996., pp-183-184, CF: also Roth, G., *A history of England*, Oxford, 1942, P.6.

(٤) هنري الثاني: ولد في الخامس والعشرين من شهر مارس ١١٣٣ م ، في لي مان Le Mans (وهي مدينة فرنسية) كانت عاصمة دوقية مين Mine تقع شمال غرب فرنسا ، وينتمي هنري الثاني إلى أسرة عريقة فهو ابن جيوفري Plantagenet Geoffrey كونت أنجو Anjou إحدى الكونتيات الفرنسية وتقع أيضا شمال غرب فرنسا مقر أسرة الإنجيفينيين الذين نتج منهم البلانتاجنت ثم أصبحت تابعة للتاج الإنجليزي عام ١١٥٤م، أما أمه فهي الإمبراطورة ماتيلدا Matilda ابنة ملك إنجلترا هنري الأول ، ويعد من أكبر شخصيات العصور الوسطى على الإطلاق وتوفي عام ١١٨٩ م ، عن ذلك انظر:

- Hallam , E., *The Plantagenet Encycloedia*, London , 1990 , P.92.

(٣) زينب عبدالمجيد، اليهود في إنجلترا العصور الوسطى، ص ٤٨-٤٩.

وأصبحت مصدرًا منتظمًا للإيرادات الملكية، وذكر المؤرخ ويليام من نيوبيري William of Newbury الذي أرخ لعصر هنري الثاني " أنه كان يفضل المرابين اليهود أكثر مما ينبغي " بسبب الأموال الكثيرة التي كان يجلبها له هؤلاء من معاملاتهم الربوية، ولذلك أصبحوا متكبرين ومتغطرسين على المسيحيين، وحتى نهاية عهده كان بإمكان اليهود استئجار الأراضي الزراعية بنفس شروط المستأجرين المسيحيين ^(١).

وفي نفس الوقت أصدر هنري الثاني مرسومًا بإنشاء سجلات رسمية لتسجيل جميع القروض المقدمة من المقرضين اليهود، وكان يتعين على اليهودي تقديم تصريح كتابي أمام شهود مسيحيين يتضمن تفصيلًا كاملاً للديون المستحقة له ومقدار الممتلكات التي يملكها، وكان إخفاء هذه المعلومات يعد جريمة وتعد المعاملات غير المسجلة غير قانونية ^(٢).

وتم الاحتفاظ بهذه السجلات المعروفة باسم الستارز Starks التي تسجل القروض والمأخوذة من الكلمة العبرية شتار Shtar بمعنى العقود في صندوق خاص سمي بأرشيف الصكوك archae cyrographorum، وكانت مفاتيح هذا الصندوق بحوزة اثنين من المسيحيين واثنين من اليهود، بهذه الطريقة تمكن الملك وبكل سهولة من تقييم ثروة اليهود بدقة، وكان لكل مدينة صندوق خاص بها لتسجيل الديون اليهودية، وبحلول عام ١٢٣٣ م على أقصى تقدير اقتصر وجود اليهود على المدن التي تحتوي على صناديق الصكوك، ما لم يكن لديهم إذن خاص بالعيش في مكان آخر ^(٣).

(1) See, Willeimi De Novoburgo, *Historia Rerum Angligarum*, (ed.), Howlett, R., *Chronicles of the Reigns of Stephen, Henry II, and Richard I*, Vol. I, London, 1964, p. 160, p. 280, Brackett, A. *Jews in Thirteenth Century England*, Texas Women's University, 2019, p. 1.

(2) Hayms, P. R., *The Jews in Medieval England 1066-12090*, pp. 183-184.

(3) Stubbs, W., *Select Charters of English Constitutional History*, Oxford, 1913, p. 256,

أما عن شكل المعاملات الربوية فكان الأسلوب المُتبع فيها أن يُعطي اليهودي القرض للشخص المقترض وفي مقابل الحفاظ على حقه يأخذ عقد سُمي (بالصك، خطاب الدين، الميثاق أو السند الإذني) ^(١)، صادر عن المدين أو كاتب العدل أو المحكمة ^(٢)، مع أخذ ضمان سمي بالرهن وتختلف قيمته من شخص لآخر ويحدد حسب قيمة القرض، وكان في الغالب ذو قيمة أعلى من القرض ^(٣)، مثل: الأراضي الزراعية المنازل، والمعادن النفيسة مثل: الذهب والفضة، وذكر ميشييل توخ أن اليهود كانوا يقومون بإخفاء هذه الثروات تحت الأرض لحمايتها من النار واللصوص ^(٤)، كما انتشر أيضاً رهن الخيول باعتبارها سلعة ثمينة يُمكن بيعها



Koyama,M.,*The Political economy of expulsion: The regulation of Jewish Money lending in Medieval England, ConstitutionalPolitical Economy*,21, (4), 2010, p.383.

(٣) كانت العقود الخاصة بالقروض تشمل الحصول على فوائد عليها، حتى وإن لم يُصرح بها، وتوارت خلف المسميات الأخرى كالتأخير والغرامة وغيرها، وكان التجار يختلقون الوسائل والحيل من أجل تفادي تحريم الربا، مثال أحد التجار قام بإقراض المال لأحد البارونات الإنجليز على أن يقوم برده على هيئة صوف على أن تزيد قيمة الصوف عن قيمة القرض الأمر الذي يجعل الدائن يحصل على ما يزيد عن قيمة قرضه، أو يتعهد المقترض بدفع ألف فلورين في وقت محدد بدون فائدة، ولكنه لا يتسلم من الدائن إلا تسعمائة فلورين وبذلك تكون فائدة القرض مائة فلورين لم تدون في العقد، عن ذلك انظر: سعيد عبد الفتاح عاشور، اليهود في العصور الوسطى، ص٨٧.

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا في العصور الوسطى، ج٢، ص ١٢١-١٢٢، زينب أبو الأنوار، أسواق أوروبا، ص٣٢٢-٣٣٥.

(٢) اشتهرت القروض بضمان الأراضي الزراعية، وكان هذا الأمر شائعاً جداً خلال فترة الحروب الصليبية، وفي حالة رد الدين مع الفائدة يسترد المدين أرضه ومعها سند الدين، أما في حالة عجز المدين عن دفع الدين تؤول ملكية الأرض للدائن.

Pagnini G. F.,*Della Decimae di Varie Altre Grauezze Imposte dal Comune di Firenze , Tome I,Appendix , Lucca,1765,A.D.1169, p.253.*

(4) Touch,M.,*Economic activities of Jewish Communities, p.193.*

أواستخدامها في حالة عدم السداد، وبعد سداد المقرض للقرض يأخذ من اليهودي مستنداً "إيصال" يفيد ذلك (انظر الشكل رقم ١) ^(١).

أما رهن الأدوات التي تستخدم في الشعائر الدينية، مثل: الكتب الطقسية أو الملابس الكهنوتية والآواني المقدسة، مقابل الحصول على قرض من اليهود فكان مثار جدل وآثار استياء السلطات الكنسية، التي اعتبرت أن رهن هذه الأدوات لدى غير المؤمنين (أي: اليهود) يُعدّ تدنيساً للمقدسات، ولذلك سعت لحظر مثل هذا النوع من الرهن، ومن ناحية أخرى كان هناك محاذير من جانب السلطات المحلية من رهن أي أدوات مرتبطة بالصالح العام كالأسلحة والدروع والفؤوس والمجاريف التي تستخدم في حماية المدينة أو في خدمة المجتمع، لأن مصادرتها من قبل اليهودي في حال عدم السداد كان يُعدّ تهديداً للمجتمع ككل ^(٢).

لم يختلف شكل المعاملات الربوية في فرنسا عن هذه الطريقة فاتبع اليهود بها نفس الاجراءات في أسلوب الإقراض وضمان حقوقهم.

وبعد هذا التنظيم المالي الدقيق الذي وضعه الملك هنري الثاني لليهود نجد أنه كان أهم عميل لدى المرابين اليهود، فأشارت الوثائق إلى اقتراضه من هارون من لينكولن **Lincoln Aaron of** أشهر مرابي يهودي في إنجلترا خلال القرن الثاني عشر الميلادي، والذي تنوعت أنشطته المالية بين إقراض المال بمبالغ كبيرة أو صغيرة، تأمين رسوم الإيجار، الرهن، المضاربة في محاصيل الحبوب، وشراء ديون بعض اليهود ^(٣).

(1) Baumgarten, E., *Mony matters: Individuals, Communities and Every day Economic interactions between Jews and Christians in Medieval Europe, Medieval Encounters*, Vol.27, No(3-4), 2021, p.300.

(2) Touch, M., *Economic activities of Jewish Communities*, pp.193-194.

(3) Mundill, R., *The King's Jews: Money Massacre and Exodus in Medieval England*, London, 2010, p.21, Jacobs, J., *The Jews of Angevin England*, University press of Pacific, 2004, pp.66-67.

وكان عملاء هذا الرجل من جميع أنحاء البلاد، وشمل مدينتوه ملوك إنجلترا وإسكتلندا، والإيرلات ورؤساء الأديرة، وحكام المدن ورؤساء الشرطة وحتى رئيس أساقفة كانتربري Canterbury، وكان يتباهى بأنه لولاه لما كان لدير سان ألبن St.Albans سقفاً، وذكر أنه عند وفاته في لندن عام ١١٨٦م تمت مصادرة ديونه التي بلغت قيمتها ١٢٠,٠٠٠ ألف جنيه من قبل التاج البريطاني^(١).

يتضح مما سبق أن المعاملات الربوية لليهود كانت شائعة ومنتشرة بين جميع أطياف المجتمع بداية من الملك وحتى الفلاح البسيط. وهنا سؤال لماذا اقترض الملك هنري الثاني من اليهود؟

نظراً لحاجة الملك للمال لتمويل حروبه ضد فرنسا " بسبب أطماع الملك الفرنسي فيليب الثاني أوغسطس Philip Augustus (١١٨٠-١٢٢٣م) ^(٢) في أراضي ملوك إنجلترا آل بلانتاجنيت Plantagent في فرنسا، والاستعداد للمشاركة في الحملة الصليبية الثالثة (١١٨٩-١١٩٢م) ولمواجهة العجز في ميزانية دولته، بالإضافة إلى عدم توافر سيوله نقدية كبيرة معه في معظم الوقت، لاعتماده في دخله على الإقطاعات الزراعية ومن المعروف أن عوائد هذه الإقطاعات إما فصلية أو سنوية، وأوضحت لنا السجلات الملكية الإنجليزية لعام ١١٦٦م " أن الملك طلب من حكام تسع مقاطعات أن يدفعوا لهارون أكثر من ٦١٦ جنيهًا إنجليزيًا من نصيب

(1) Jacobs, J., *The Jews of Angevin England*, pp.66-67.

(٢) فيليب الثاني أوغسطس: ابن الملك لويس السابع ولد في عام ١١٦٥م، وينتمي لعائلة كابيه، تولى الحكم في فرنسا مشاركة مع والده عام ١١٧٩م، ثم انفرد بالحكم في العام التالي بعد وفاة والده، دخل في صراع كبير ضد إنجلترا بسبب الأطماع الإقطاعية، وشارك في الحملة الصليبية الثالثة بالرغم من خلافاته مع إنجلترا، مع الملك ريتشارد قلب الأسد ابن هنري الثاني، وأنجب لويس الثامن الذي خلفه على العرش بعد وفاته عام ١٢٢٣م.

See, Rigord, *The Deeds of philip Augustus*, Trans, by. Field , L.F., Cornell University, 2022, p.12.

الملك من إيجارات المقاطعات، لأن هارون كان يقرض المال للملك على أن يرده له بعد جمع إيجار الإقطاعات الزراعية، وتسجل سجلات الخزانة أن إجمالي دخل الملك في هذا العام كان حوالي ٣٥٠٠٠ ألف جنيه، مما يعني أن هارون قدم للملك حوالي ٢% من إجمالي دخله، وهذا رقم كبير بالنسبة لفرد واحد في هذا الوقت ^(١).

وتجدر الإشارة إلى أن الملك هنري لم يقترض من هارون فقط بل اقترض من مرابي آخر يدعى إسحاق بن الحاخام يوسف Isaac ben Rabbi Joseph زعيم الجالية اليهودية في لندن، وتشير الوثائق إلى أن الملك طلب من رجاله دفع مبلغ قدره ٧٤٣ جنيهًا لهذا اليهودي، وهو مبلغ أكبر من مبلغ زميله هارون، ويدل ذلك على أن إسحاق كان المنافس الرئيسي لزميله، ومع أواخر سبعينيات القرن الثاني عشر الميلادي كان هارون بالاشتراك مع يهود آخرين يقرض التاج بمبالغ كبيرة جدًا، وبحلول عام ١١٧٩م يبدو أن مفهوم اقتراض التاج من يهوده قد تغير، فعُد الملك من طريقة أخذ موارده المالية من اليهود، وأصبح يأخذ المال الذي يحتاج إليه في شكل ضرائب من اليهود ^(٢).

وجدير بالذكر أن ارتفاع نسب الفائدة على الديون كان أهم أسباب شراء اليهود في هذا الوقت، ففي زمن كان يحرم فيه أخذ الفائدة كانت النسبة المعتادة لليهود تتراوح بين ٢٥% و ٤٠% وازدادت لأكثر من ٨٠% في بعض الأوقات، وهناك وثيقة تشير إلى أن شخصًا يدعى ريتشارد من بيسيروك Richard of Biseruc اقترض ١٠ جنيهات من آرون بفائدة قدرها بنسان لكل جنيه أسبوعيًا بما يُعادل ٤٣% سنويًا ^(٣)، وحتى يُسدّد أصل الدين والفائدة احتفظ هارون بأرض هذا الرجل،

(1) Nath,A., Aaron of Lincoln ,p.50..

(2)Mundill,R., The King's Jews ,pp.22-23.

(٣) البنس الإنجليزي: هو العملة الشائعة والمستخدم في إنجلترا من القرن التاسع الميلادي وحتى عصر الملك هنري الثالث، صنع من الفضة وكان قطره حوالي ثمانية عشر ميليمتر، في الأمام

وفي بعض الحالات وصلت الفائدة إلى أربعة بنسات لكل جنيه أسبوعياً بما يعادل ٨٦%، وأدنى نسبة كانت مسجلة كانت بنساً واحداً لكل جنيه (٢٢%)^(١)، ونتيجة لذلك ازدادت ثروات اليهود فبنوا القصور والقلاع ووظفوا الخدم، بينما يرى البعض أن اليهود كانوا يرفعون سعر الفائدة؛ لأنهم كانوا يدركون بأنهم لن يحصلوا على أموالهم كاملة، خاصة إذا كان المقترض من أصحاب المناصب العليا^(٢)، ولا شك في أن هذه الفوائد المرتفعة ساهمت في إثارة الكراهية الشعبية تجاه اليهود في إنجلترا^(٣).

ومع ذلك حرص ملوك إنجلترا على حمايتهم؛ لأنهم كانوا مصدرًا ماليًا بالغ الأهمية "الإوزة التي تبيض لهم الذهب"، فعلى سبيل المثال عند وفاة اليهودي كانت ممتلكاته تنتقل تلقائياً للملك الذي غالباً ما كان يحتفظ بثلاثها ويترك الباقي للورثة، وبالطبع كان هذا الأمر مفيداً للملك لأنه ضمن له استمرار تدفق الأموال من خلال الربا، وهو أمر لم يكن بإمكانه فعله مباشرة بصفته مسيحياً، ومما يدل على ذلك أنه بعد وفاة هارون اليهودي عام ١١٨٦م صادر هنري الثاني أمواله " وأنشأ خزنة مالية عرفت باسم خزنة هارون اليهودية "Aron's Exchequer" وهى النواة التي تأسست منها خزنة اليهود لاحقاً، وأخذ سندات الديون الخاصة بهارون وكانت كثيرة وتشمل قروض للمنات من كبار النبلاء ورجال الكنيسة وغيرهم، وبذلك أصبح الدائن

→→→

وجدت عليه صورة الملك مع اسمه، أما ظهر العملة فنقشت عليه الصلبان مع اسم صانع العملة ومكان سك العملة، أما الشلن فكان يعادل ١٢ بنس وسمي بالجنيه الإنجليزي، عن ذلك انظر: محمود سعيد عمران، النقود في العصور الوسطى، مكتبة الجامعة، الاسكندرية، ٢٠١١، ص ١٥٨-١٦٤.

(1) Nath, A. Aaron of Lincoln, pp.52.

(2) Belloc, H., The Jews, London, 1922, p.217.

Mell, J., usury as Deviance in Medieval Eruope, pp.122-123.

ياسر كامل محمود، البايوية ويهود غرب أوروبا عصر الحروب الصليبية ص ٢٦٣.

(3) Nath, A. Aaron of Lincoln, pp.52.

الجديد لهم هو الملك الأمر الذي زاد من نفوذه السياسي والمالي، حتى وإن كان سيحصل على أصل المال فقط بدون فائدة^(١).

وخلال عهد الملك ريتشارد الأول (١١٨٩-١١٩٩ م) كان في إنجلترا ما يقرب من ٥٠٠٠ يهودي، استقروا في الغالب في المناطق الحضرية مثل لندن ويورك York ولينكولن Lincoln وكانت هذه المدن من أهم المراكز التجارية بإنجلترا، وبالتالي كان العديد من المواطنين مثل التجار والمزارعين والنبلاء يقترضون من اليهود وكانوا مدينين لهم باستمرار، وهذا ما جعلهم يشعرون وكأنهم يعيشون تحت سيطرة اليهود مما خلق الكثير من الاستياء نحوهم، كما أضافت مشاعر الدعوة للحملة الصليبية الثالثة (١١٨٩-١١٩٢ م) لهذا العداء لأنها نادى بضرورة القضاء على "جميع أعداء الصليب"، ومع خروج الملك في هذه الحملة ونظرا لأن العديد من الرجال الإنجليز كانوا مدينين "للمرابين الأشرار بمبالغ كبيرة" وجدوا الفرصة سانحة أمامهم للتخلص من هذه الفئة التي تتمتع بسلطة اقتصادية عليهم وحرقت سجلات الديون^(٢).

ونتيجة لما سبق تعرض اليهود لعدة مذابح كان من أعنفها مذبحه يورك York في مارس ١١٩٠ م، ولم تتمكن السلطات المحلية من حماية الجالية اليهودية من البارونات الإنجليز وأسقف دور هام Bishop of Dorham، وتم إحراق سجلات الديون التي اضطهد بها المسيحيون من قبل "المرابين الملكيين"، ووفقا لم ذكره المؤرخين المعاصرين أن ريتشارد بعد عودته من الحملة الصليبية الثالثة، كان غاضبا من فقدان الإيرادات المالية والإهانة التي تعرضت لها السلطة الملكية، ولذلك أصدر مرسوما في عام ١١٩٤ م سمي بمرسوم اليهودية أمر فيه بإنشاء فرع مستقل من الخزنة العامة يسمى بخزانة اليهود "Exchequer of the Jews" تكون

(1) Nath, A., Aaron of Lincoln, pp-52-53..

(2) Brackett, A. Jews in Thirteenth Century England , p.2.

مستودع لحفظ سجلات الديون لضمان سلامتها وعدم تكرار حرقها من قبل المسيحيين^(١).

كما نص أيضاً على تسجيل جميع الديون والتعهدات والرهن العقاري والأراضي والمنازل والإيجارات والممتلكات الخاصة باليهود في الخزانة، وأن تكون أيضاً هذه المؤسسة بمثابة محكمة قانونية وجسر للتواصل بين الملك واليهود، وأوكل مهمة حماية اليهود لضباط الملك، وذكر بعض المؤرخين أن الهدف الحقيقي من ذلك كان لفرض الضرائب على ديون اليهود، ومن هذا الوقت أصبحت الخزانة مصدراً مهماً للإيرادات الملكية حتى عهد إدوارد الأول، وبخاصة ضريبة التالاج "Tallage Jewish" التي كان من حق الملك فرضها على اليهود في أي وقت خاصة أثناء الحروب^(٢).

ويتضح من ذلك حرص الملك على حماية اليهود وديونهم؛ لأنها كانت مصدراً متدفقاً للمال إلى خزانته، ولم يهتم لغضب الجماهير من اليهود بسبب إغراقهم في الديون التي تسببت في إفقارهم.

وبارتقاء الملك جون john (١١٩٩-١٢١٦م) الشقيق الأصغر لريتشارد العرش، أصدر ميثاقاً في عام ١٢٠١م أكد فيه على الحريات الممنوحة لليهود سابقاً، ومقاضاة كل من يقوم بجرائم ضدهم، وسمح لهم بحرية نقل إقامتهم داخل إنجلترا كما يحلو لهم ولكن بتصريح منه، رغبة منه في حمايتهم ولكي لا يتكرر معهم ما حدث سابقاً، وبعكس المسيحيين الذين خضعوا لضرائب منتظمة في عهده، خضع اليهود لضرائب خاصة ومرتفعة، كان يفرضها عليهم بناء على حاجته للمال، وفي الغالب استخدمت هذه الأموال لتمويل حملاته العسكرية، وعلى الرغم من قلة عدد اليهود في

(1) Koyama, M. The Political economy of expulsion, pp.382-284.

(2) Brackett, A. Jews in Thirteenth Century England, p.4, Koyama, M. The Political economy of expulsion, pp.382-284.

هذه الفترة فمثلوا ١% فقط من السكان، إلا أنهم ساهموا ب ١٢% من الإيرادات الملكية السنوية ^(١).

إضافة لما سبق شارك اليهود الملك جون في التجهيز لمعركة بوفين **Bouvines** عام ١٢١٤م ضد فرنسا ^(٢)، وبعد هزيمة الملك في هذه المعركة أمام الملك الفرنسي فيليب الثاني وخسارته لمعظم الأراضي الأنجوية في فرنسا وبخاصة إقليم نورماندي **Normandy**، ثار عليه البارونات بسبب استبداده وفشله العسكري، وتحالفت جميع الطبقات في إنجلترا بقيادة البارونات، ووضعوا بنود وثيقة الماجنا كارتا **Magna Carta** " العهد الأعظم " عام ١٢١٥م ^(٣)، ولإنهاء هذا النزاع وافق الملك على مطالبهم ووقع على هذه الوثيقة، والمهم في هذا الأمر أنها نصت على مادتين لتقييد سلطة اليهود الذين استخدمهم الملك لجمع المال من جميع أنحاء المملكة عن طريق الربا، لعملهم لمصلحة الملك ومصلحتهم الخاصة.

فنصت المادة رقم (١٠) من الوثيقة على أنه "إذا اقترض أي شخص من اليهود مبلغًا ماليًا، كبيرًا كان أو صغيرًا، وتوفي قبل سداده فإن الفائدة تسقط عن الدين في حال كان الوارث قاصرًا، وفي حال انتقال الدين إلى الملك يُدفع المبلغ

(1) Brackett, A. *Jews in Thirteenth Century England*, P.5.

(2) Brackett, A., *Jews in Thirteenth Century England*, P.5.

(١) الماجنا كارتا: تعرف أيضا بوثيقة العهد الأعظم **Great Charter** وكذلك ميثاق الحريات، كتبت باللغة اللاتينية احتوت على ثلاث وستون مادة وناقشت موضوعات كثيرة أهمها العلاقة بين الملك وأفضاله وحقوق كل منهما والتزاماته، كما ناقشت حقوق الكنيسة ورجال الدين، وعن الحد من سلطة اليهود، كما ناقشت كافة الإجراءات التي يجب أتباعها بين السيد الإقطاعي وأفضاله، وخضعت للتعديل أكثر من مرة وحذفت بعض موادها في نوفمبر عام ١٢١٦م، وكذلك في عام ١٢١٧م وللمزيد من التفاصيل عن هذه الوثيقة انظر:

See, *Holt, J.C. Magna Carta 1215, English Historical Document, (1189, 1327), ed. by Rothwell, H., London, 1975, Vol. III, pp. 316-324.*
Holt, The Barons and The Great Chaterm, cf. E.H. R., Vol, 70, 1955, pp. 1-24.

المذكور في الصك فقط ."

أما المادة رقم (١١) فتنص على أنه " إذا توفي شخص مدينً لليهود، فإن زوجته تأخذ مهرها ولا يجب سداد أي جزء من الدين منه، وإذا كان أبناء المدين المتوفى قاصرين يتم إعفاؤهم من الخدمة المستحقة للسيد الإقطاعي، ومن الديون المستحقة لليهود"، إلا أن هاتين الفقرتين ألغيتا في النسخة اللاحقة التي صدرت عام ١٢١٦م^(١).

يتضح مما سبق غضب البارونات والشعب من اليهود بسبب مصادرة أملاك المتوفى أو أرضه الزراعية في حالة عجز زوجته وأبنائه عن سداد الفوائد والدين. وبوفاة الملك جون تولى الحكم ابنه هنري الثالث Henry III (١٢١٦-١٢٧٢م)^(٢)، الذي قدم دعمه الكامل لليهود ودافع عن عملهم في الإقراض في بداية حكمه، ففي عام ١٢١٨م حذر هنري بعض الأساقفة من التدخل في مسألة الربا اليهودي قائلاً: " لا شأن للأساقفة بيهودنا "^(٣)، وأشار بعض المؤرخين إلى أن معدل الفائدة على الديون في عهده كان ثابتاً وبلغ حوالي ٤٣.٣% سنوياً، إلا أن المؤرخ روبن موندل Roben Mundel اختلف معهم وأوضح أن هذه القيمة المحددة لا تمثل فعلياً معدل الفائدة أوهامش الربح، وأن قيمة الفائدة على القروض خلال عهد

(١) زينب عبد المجيد، يهود إنجلترا في العصور الوسطى، ص ٧٣.

(٢) هنري الثالث: ولد في أول أكتوبر عام ١٢٠٧ في مدينة وينشستر Winchester وهو ابن ووريث الملك الإنجليزي حنا John وحفيد الملك هنري الثاني، توج ملكاً لإنجلترا سنة ١٢١٦م وتوفي عام ١٢٧٢م.

Wilson, G., *An Illustrated History of late Medieval England*, Manchester University, Manchester, 1996, pp. 86-87.

(3) Stow, K. R., *Papel and Royal attitudes toward Jewish Lending in Thirteenth Century*, Association for Jewish Studies Review, Cambridge University Press, Vol. 6, 1981, p. 177, Brackett, A., *Jews in Thirteenth Century England*, P. 7.

هنري الثالث كانت متغيرة ^(١).

ودلل على ذلك ببعض الأمثلة التي جمعها من سجلات القرن الثالث عشر الميلادي، منها أنه في عام ١٢٢٦ م كان آلان دي سينيور Alan de Senior من مدينة نورويتش Norwich، مدينًا لإسحاق بن جورنيت Isaac Fil Jurnet اليهودي بمبلغ ٩ جنيهات إنجليزية و ٦ شلنات و ٨ بنسات، وكان عليه أن يدفع فائدة قدرها جنيه إنجليزي واحد، على أن تسدد على أقساط: ١٠ شلنات في عيد الفصح، و ١٠ شلنات أخرى في ٢٩ سبتمبر من العام نفسه، وإذا لم تسدد الأقساط في موعدها، تفرض غرامة تقدر ببنيسين لكل جنيه في الأسبوع، أي: أن الفائدة السنوية على القرض بلغت ١٠% بصرف النظر عن الغرامة، وفي معاملة أخرى كانت قيمة الفائدة السنوية أعلى من سابقتها وبلغت ٢٥% مع أخذ حمولتين من القمح ^(٢).

وفي عقد آخر كان هامش الربح أعلى من ذلك، ففي ٢٦ مايو عام ١٢٢٧ م أقر أندرو واسيلين Anderw Wascelin بأنه مدين لهارون بن يعقوب Aaron fil Jacob بمبلغ ٢ جنيه إسترليني، وكان عليه أن يسدها وفقًا للشروط الآتية: جنيه واحد في ٢٥ مارس ١٢٢٨ م، وجنيه آخر في ٢٩ أغسطس ١٢٢٨ م، وأخيرًا لتأمين سحب الختم من الصندوق ثلاثة جنيهات أخرى هذه هي الفائدة، إذا كان واسيلين سيسدد دينه البالغ جنيهين بخمسة جنيهات في عام واحد، فسيكون هامش الربح لهارون بن يعقوب ١٥٠% ^(٣).

بالإضافة إلى ذلك قُدمت شكاوى للمحاكم ضد المرابين اليهود، منها شكاوى تقدم بها روبرت فيتز هنري Robert Fitz Henry وهو كاتب، إلى المحكمة عام ١٢٢٠ م لرفع الضرر عنه، ذكر في شكواه أنه اقترض من يهودي مبلغ ٢٠ شلنًا

(1) Mundill, R., The King's Jews ,p.35.

(2) Mundill, R., The King's Jews ,p.35.

(3) Mundill, R., The King's Jews ,p.36.

Shillings (الشلن يعادل ١٢ بنسًا) أي ما يعادل جنيهاً إنجليزياً^(١)، مقابل رهن منقول غالباً ما كان "أثاث منزله"، وفرض عليه اليهودي فائدة أسبوعية قدرها ١٠ بنسات، أي: بفائدة سنوية تبلغ ٢١٦%، وفي شكوى أخرى طُلب اليهودي من شخص اقترض ٦ جنيهات أن يدفع ١١ جنيهاً و ١٣ شلناً و ٤ بنسات، أي: بفائدة سنوية قدرها ١٦٧% وورد مثال آخر بلغت فيه نسبة الفائدة ٨٦%^(٢).

يتضح مما سبق ارتفاع قيمة الفائدة على الديون بشكل مبالغ فيه، وهذا يفسر لنا سبب العنف والعداء الشعبي تجاه اليهود أثناء حرب البارونات Baron's War بين الملك ومعارضيه.

فخلال هذه الحرب والتي استمرت من عام ١٢٦٣ حتى عام ١٢٦٧ م، بقيادة سيمون دي مونتفورت Simon de Montfort زعيم المعارضة البارونية ضد الملك هنري، بهدف طرد الأجانب ومنعهم من التدخل في حكم المملكة^(٣)، قام أتباع سيمون بتدمير أحياء اليهود في العديد من المدن الإنجليزية، مثل لندن ووينشستر Winchester وكنتربري ونورثهامبتون Northampton في محاولة لتدمير السندات والعقود التي توثق ديونهم، وقتلوا عدداً كبيراً من اليهود، وتم تعمد العديد من النساء الناجيات لتجنب القتل، وحاول الملك إيقاف سيمون دي مونتفورت لحماية الأموال التي ستؤول في النهاية إلى التاج لكنه لم يتمكن من ذلك، وفي عام ١٢٦٥م قامت مجموعة أخرى من البارونات المتمردين بنهب حي اليهود في

(1) Brand,P., *Jewish usury and the Law in England in Twelfth and Thirteen Centuries*, Seminaire Relmin, Universite de Nantes,(13May,2014),p.14.

(2)Mundill,R., *The King's Jews* ,p.35.

(3) See,Valente,C.,*Simon de Montfort Eral of Leicester,and the Utility of Sanctity in Thirteenth Century England,in Jornal Medieval History,No.21,1995,pp.27-30.*

هناء محمود شمس، رؤساء أساقفة كانتربري في التاريخ السياسي (١١٣٥-١٣٠٧م)، نور حوران، سوريا، ٢٠٢٢ م، ص ٢٩٠.

لينكولن، وقتلوا بعض اليهود وأحرقوا جميع سنداتهم ومواريثهم، وبعد انتهاء الحرب عين الملك هنري بعض رؤساء البلديات والمواطنين من بعض المدن لحماية اليهود والدفاع عنهم حتى لا يتكرر ما حدث^(١).

وبالرغم من معارضة المؤرخ والراهب متى الباريسي Matthew paris لسياسة الملك هنري المالية، وأشار إلى أن الملك كان يأخذ الضرائب بكثرة من اليهود، إلا أنه ذكر في سجلاته لعام ١٢٤٧م أن اليهود قاموا بقص العملة، مما أدى إلى انخفاض قيمتها واضطراب الأسعار قائلاً: "إن اليهود قاموا بختان البنس الإنجليزي"، ولذلك أصدر الملك قراراً بمنع قبول العملات المقصوفة في المدن والمعارض التجارية، وفتح تحقيقاً كشف عن تورط اليهود والكاهورسين Cahorsins الإيطاليين "وتجار الصوف الفلمنكيين غير أنه لم يذكر العقوبة التي طبقت عليهم، وأشار أيضاً إلى أن العملة الفرنسية تعرضت للتزييف نفسه، وأن الملك الفرنسي لويس الثامن LouisIII (١٢٢٧-١٢٧٠م) اكتشف مرتكبي هذه الجريمة وأمر بشنقهم^(٢).

كما أشار بعض المؤرخين إلى أن اليهود كانوا يجمعون العملات الذهبية والفضية من الأسواق، ويستبدلون ما فيها من معادن نفيسة بمعادن رخيصة، إضافة إلى ذلك كانت ثرواتهم تتركز في العملات والمصوغات الذهبية مما أضر باقتصاد البلاد، لذلك شن الملك حرباً كبيرة ضدهم صادر خلالها ثلث أموالهم وحدد سعر الفائدة على القروض بنسبة ١٠%^(٣)، وقرب نهاية عهده وتحت تأثير ابنه إدوارد

(1) Brackett,A., *Jews in Thirteenth Century England*,P.9., Jacobs,J., *The Jews of Angvin England* ,pp.674.

(2) Potter,M., *Narratives of of Violence,Sufferingand eschatology: Depictions of Jews in the Chronica Majora of Matthew paris*, [Master of Arts thesis],Palhousie university ,2017,p.26,94-95.

(3)Mell,J.,*usury as Deviance in Medieval Eruope*,p.123.

الملك المستقبلي وافق هنري عام ١٢٦٩م على قانون يحظر أي قروض مستقبلية مضمونة بأراض زراعية، وفرض عليهم ضريبة قدرها ٦٠٠٠ مارك للمساهمة في تمويل الحملة الصليبية للأمير إدوارد ولكنهم عجزوا عن سدادها، بالإضافة إلى مصادرة المعبد اليهودي في لندن عام ١٢٧٢م^(١).

يتضح مما سبق أن اليهود بالإضافة إلى رفع أسعار الفائدة على القروض، اتهموا أيضًا بتزيف العملة وبيع عقود ملكية الأراضي الزراعية التي صادروها بعد عجز أصحابها عن سداد ديونهم، مما أدى إلى تصاعد العداء وأعمال العنف ضدهم، ويبدو أن الأمور تتجه فعليًا نحو الطرد.

وأشار المؤرخ بول براند Paul Brand إلى أنه بعد وفاة الملك هنري الثالث تولى ابنه إدوارد الأول الحكم (١٢٧٢-١٣٠٧م)، ولاحظ أن كثيرًا من الناس فقدوا ميراثهم وممتلكاتهم بسبب الربا اليهودي، بالإضافة إلى ظهور العديد من المشكلات بسبب الربا، لذلك أصدر قانونًا في عام ١٢٧٥م سُمي "بقانون اليهودية" Statutum De Judaismo نصّ على: "تأمر ونؤكد، تعظيمًا للرب ولمصلحة الشعب الإنجليزي بعدم ممارسة الربا، وأن يترك للمسيحيين أراضيهم ومنقولاتهم، ولا يحق لأي يهودي سلطة نقل الملكية سواء إلى يهودي أو مسيحي فيما يتعلق بالأرض، البيوت، الإيجارات، أو التصرف فيها بدون ترخيص من الملك، ومنحهم حرية شراء البيوت والأراضي بشرط أن تكون حيازتهم باسم الملك، ويجوز لهم حيازة الأرض للزراعة لمدة لا تزيد عن عشر سنوات" (انظر الشكل رقم ٢)^(٢).

→→→

سعيد عبد الفتاح عاشور، اليهود في العصور الوسطى، ص ٨٩، ياسر كامل محمود، البابوية ويهود غرب أوروبا عصر الحروب الصليبية ص ٢٦٣.

(1) Stow, K.R., *Papel and Royal attitudes toward Jewish Lending*, p.177, Brackett, A., *Jews in Thirteenth Century England*, P.7.

(2) Brand, P., *Jewish usury and the Law in England*, pp.14-16.

←←←

وبعد صدور هذا القانون وتجريم الربا بدأ اليهود بالعمل في التجارة، وتشير العقود التجارية لتلك الحقبة أنها كانت مجرد ستار للإقراض الربوي لليهود، وأشار العديد من المؤرخين بأن ذلك كان من أهم الأسباب التي دفعت هذا الملك لطرد اليهود نتيجة لإصرارهم على ممارسة الربا ^(١).

بالإضافة إلى ذلك اتهم اليهود مرة أخرى بالتلاعب في قيمة النقد وقص العملة، فنظرًا لعملهم كصيارفة ومرابين في الخفاء، قيل: إنهم كانوا يتعاملون مع عملائهم بعملات مزيفة قاموا بقص جزء منها، ونتيجة لذلك قُدمت ضدهم العديد من الشكاوى، وبين عامي ١٢٧٨ و ١٢٨٥ م شُنق مئات اليهود بسبب هذه الجريمة، وفي عام ١٢٧٨ وحده أُعدم ٢٩٣ يهوديًا في لندن بسبب قص العملة ^(٢).

ومن الجدير بالذكر أنه لم تسبق حملة اعتقال اليهود في إنجلترا لطردهم أي إعلانات أو تحذيرات علنية، مما يشير إلى أن الملك ومستشاريه المقربين خططوا للأمر بسرية تامة، لاحقًا وتحت مظلة ما يُعرف بمجلس المملكة وافق الملك رسميًا وعلنًا على تنفيذ قرار الطرد في البرلمان مقابل فرض ضريبة على رعاياه المسيحيين في يونيو من عام ١٢٩٠ م، ثم أصدر أوامره بطرد اليهود في الثامن عشر من يوليو من العام نفسه، وبحلول شهر نوفمبر غادر اليهود إنجلترا إلى فرنسا وألمانيا وكان عددهم يقارب الألفين ^(٣).



أسامه إبراهيم حسيب، نظر قضايا الأرض الإنجليزية في محاكم إدوارد الأول (١٢٧٢-١٣٠٧ م)، مجلة " وقائع تاريخية، مركز البحوث والدراسات التاريخية، مركز البحوث والدراسات التاريخية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، عدد يوليو، ٢٠٢٠، ص ٥٧.

(1) Brand, P., *Jewish usury and the Law in England*, p.17.

(2) Brackett, A., *Jews in Thirteenth Century England*, p.9.

(3) Jordan, W.C., *Administering expulsion in 1306. In French Monarchy and the Jews: The Crown and the Community (1250-1306)*, Princeton University Press, 2008, pp.242.

آراء المؤرخين حول أسباب طرد الملك إدوارد الأول لليهود عام ١٢٩٠م:

أشار المؤرخ ويليام تشيسر جوردان William Chester Jordan إلى أن أسباباً دينية واقتصادية حُشدت لتبرير طرد اليهود عام ١٢٩٠م، مثل: خوف التجار المسيحيين من منافسة اليهود في الأسواق بعد حظر الربا، إلا أنه لا يرجح هذا السبب، قائلاً: " لا يمكن أن يكون التجار المسيحيون قد عانوا من نظرائهم اليهود الفقراء إلى حد كبير"، ويستند في ذلك إلى ما ذكره المؤرخ روبن موندل من أن عددًا قليلًا من اليهود تمكنوا من الحفاظ على ثرواتهم، ويتساءل جوردان: إذا كان هذا هو الحال ؟ فهل يعقل أن يخاف التجار المسيحيون من منافسة هذه الأقلية لهم في الأسواق وينادوا بطردهم من البلاد، ويرى أن السبب الحقيقي وراء طرد اليهود هو أن رجال الدين الجدليين استخدموا مجموعة من الافتراءات الدينية التقليدية لإثارة الرأي العام ضد اليهود، منها: أن المرابين اليهود استغلوا المسيحيين الفقراء، وأنهم أعادوا عملية صلب المسيح على أولاد المسيحيين " تهمة القتل الطقوسي " ^(١).

بينما ذكر المؤرخ اليهودي كينيث آر. ستو Kenneth R.Stow أن الملك إدوارد برر الطرد بوصفه الوسيلة الوحيدة التي تمكنه من ضمان إنهاء الربا، لتعظيم الرب وضماناً لشرف وسلامة مملكته، وأنه ملزم بوقف هذه الجريمة الشنيعة التي تسببت في إهانة شعبه، ويضيف أن السبب الحقيقي لطرد الملك لليهود هو تدنيه الشديد وإيمانه بمبادئ رجال القانون الكنسي المتشدد الذين نادوا بحظر الربا اليهودي، على عكس البابوية التي أجازت الفائدة المعتدلة ^(٢).

أما المؤرخة اليهودية صوفيا ميناشيه Sophia Menache فرأت أن سبب

(1) Jordan ,W.C., Administering expulsion in 1306.In French Monarchy and the Jews, pp.242-243.

(2) Stow,K.R.Papel and Royal attitudes toward Jewish Lending in Thirteenth Century, AJS Review, Vol.6, 1981,p.178,Brackett,A., Jews in Thirteenth Century England,P.7.

بغض الشعب الإنجليزي لليهود وطرد الملك لهم يعود إلى الصورة النمطية السائدة عن اليهود في ذلك الوقت، والتي صورتهم كشياطين متحالفين مع كل قوى الشر (انظر الشكل رقم ٣)، قبل أن يكونوا مرابين، وقد تفاقم هذا البغض بسبب تهمة " القتل الطقوسي "، خاصةً مع حادثة لينكولن التي وقعت في عام ١٢٥٥ م قبل فترة وجيزة من إصدار مرسوم الطرد، وتمت فيه إدانة يهود مدينة لينكولن بقتل الطفل الذي أطلق عليه هيو الصغير Hugh^(١)، وتحدثت مينايشيه بالتفصيل عن هذه القضية محاولةً إثبات بطلان هذه التهمة وأنها من وحي خيال المؤلفين المسيحيين، وأضافت أن هذه التهمة وثقت من قبل رهبان دير بورتن وحُفظت في حوليات الدير *Annals of Burton*، وفي السجلات التاريخية للمؤرخ الإنجليزي والراهب متي الباريسي *Matthew Paris*^(٢).

فأشار متي إلى أن بعض اليهود استدرجوا صبيًا صغيرًا يبلغ من العمر تسع سنوات، وأخفوه لمدة تتراوح بين عشرة أيام وخمسة وعشرين يومًا، وتؤكد حوليات بورتن أن اليهود لم يطعموا الصبي، بينما ذكر متي الباريسي أنهم أعطوه بعض

(1) Menache ,S., Faith , Myth , and Politics: The Stereotype of the Jews and their expulsion From England and France , The Jews Quarterly Review 75(4), University of Pennsylvania , 1985, p.353-356.

(٢) تحدث المؤرخ متي الباريسي أيضا في سجلات عام ١٢٤٤ م عن اكتشاف جثة صبي صغير في مقبرة القديس بندكت بلندن، كانت علامات الصלב الطقسي واضحة على جثته، ونقش الجناه بأحرف عبرية عليها، ويحتمل أن هذا قد حدث عندما تم تثبيت الصبي على الصليب، ويلمح لأن الجناة كانوا عدداً كبيراً من اليهود الذين غادروا لندن، وعند ترجمة الأحرف العبرية المكتوبة على جثة الصبي اكتشفوا أن الصبي تم بيعه لهم، مما يطرح إمكانية وجود سوق سري لضحايا القربان، للمزيد عن هذه القضية انظر:

See, Matthew Paris. *Chronica Majora*, ed. Luard, H (R.S., London, 1872-83), Vol. IV, pp. 377-378, Potter, M., *Narratives of Violence, Suffering and eschatology: Depictions of Jews in the Chronica Majora of Matthew*, p. 51.

الحليب ودعوا يهودًا آخرين للمشاركة في هذا الاحتفال بالعيد، وبعد مداوات قرر اليهود قتل الطفل، وذكر مؤرخ بورتن أن اليهود ختنوا الطفل وجردوه من ملابسه، وضربوه وبصقوا في وجهه، وقطعوا أنفه وشفته العليا، ثم كسروا أسنانه وتوجوه بالأشواك، وطعنوه بسكين وبعض المسامير، وأجبروه على شرب سم الشوكران، وصلبوه وأخيرًا طعنوه حتى الموت، طوال هذا العذاب لم يصدر الصبي أي صوت، وبعد وفاته ألقاه اليهود في حفرة^(١).

واكتشفت هذه الجريمة بعد شهر من حدوثها وقيل أن بعض المعجزات حدثت عند اكتشاف الجثة، ودُفن الضحية في احتفال مهيب أقامه الرهبان المحليون ووضعوه بجوار قبر الأسقف الشهير روبرت جروسيتيست Robert Grosseteste في كاتدرائية لينكولن، كما أوضح متي الباريسي ومؤرخ دير بورتن أن هذه الحادثة وقعت في عهد الملك هنري الثالث، وأن مرتكبيها عوقبوا بعد اعتراف شخص يدعى جوبين Jopin عليهم وتم إعدامه على الفور، كما اعتُقل واحد وتسعون يهوديًا ونُقلوا إلى لندن، وأُعدم منهم ثمانية عشر في الحال، بينما غُفي عن الباقين بعد تدخل شخصيات هامة ورهبان لدى الملك لإطلاق سراحهم، وأعرب مؤرخ بورتن عن خيبة أمله من الكرم الذي أظهره الملك تجاه اليهود "المدنسين للمقدسات"، حتى أنه يلمح إلى احتمال تقديم رشوة لتخفيف عقوبتهم بقوله: "هكذا برئوا بسبب المال، أولئك الذين ارتكبوا هذا الظلم!"^(٢).

وترى صوفيا أن هذا الوصف يُظهر بجلاء ميل المؤرخ إلى إثبات أن الطبيعة الشيطانية لليهود وأفعالهم ما هي إلا تجسيد لقوى الجحيم، ويؤكد في الوقت نفسه

(1) See, *Annals of Burton*, ed. Luard, H. in *Annales 16 {Monastici Rolls}*, London, 1863, pp. 340-348, *Matthew Paris. Chronica Majora*, ed. Luard, H (R.S., London, 1872-83), Vol. V. pp. 516-519, 546-552.

(2) *Matthew Paris. Chronica Majora*, Vol. V, pp. 546-552.
Annals of Burton, pp. 340-348.

على تشابه استشهاد الطفل البريء بآلام المسيح المخلص^(١).

إضافة لما سبق رأى الحاخام اليهودي شولوم أ. سنجر Sholom A. Singer أن الطرد كان نتيجة لعدة أسباب في مقدمتها السبب الاقتصادي: وهو إفقار الملوك للمجتمع اليهودي بسبب كثرة الضرائب، مما قلل من أهميتهم كمصدر دخل للتاج، بالإضافة إلى اعتماد الملوك على ممولين جدد وخصوصاً الكاهورسيين "الإيطاليين" الذين حلوا تدريجياً محل اليهود، وهناك عوامل دينية واجتماعية أخرى ساهمت في الطرد، منها: العداة الشعبي لليهود بين مختلف الطبقات إذ رأوا فيهم أداة للملك لاستنزاف ثروات الشعب، كما لعبت الكنيسة دوراً في تأجيج الكراهية لليهود من خلال تشريعاتها العنصرية، مثل فرض شارة خاصة وكذلك تهمة القتل الطقوسي^(٢).

من خلال ما سبق عرضه ذكر المؤرخون اليهود مجموعة من الأسباب التي دفعت الملك إدوارد لطرده اليهود من مملكته عام ١٢٩٠م منها، إفقار الملوك المتعمد لليهود بسبب كثرة الضرائب، وجود الممولين الإيطاليين، العداة الشعبي لليهود بسبب تهمة القتل الطقوسي، ولأن الشعب رأى أن اليهود أداة للملك لاستنزاف ثرواتهم، مساهمة الكنيسة في تأجيج الكراهية تجاه اليهود من خلال التشريعات العنصرية مثل

(١) هناك حادثة أخرى تخص هذه التهمة ففي عام ١٢٣٠م اتهم يهود مدينة نورويتش بمحاولة صلب صبي مسيحي ولكن اكتشف أمرهم وتمت إدانتهم ومعاقبتهم.

Dew,B.,*Jewish Exclusions: Eighteenth - Century Historians and Expulsion of England's Jews*, intellectual History Archive, Vol.6, University of Helsinki, 2018,pp.3-4.

Cf also: Vergil,p.*Anglia Historia*, (Sutton,D.F., Ed.; Henry III, Paragraph 17), *The philological Museum* , University of Birmingham, (n.d) ,Based on the 1555 version.

Holinshed, R. *The First and Second Volumes of the Chronicles* , London, 1587,Vol.6, p.219, Menache ,S., *Faith ,Myth , and Politics: The Stereotype of the Jews and their expulsion* , p.353-356.

(2) Singer,S.A.,*The Expulsion of The Jews from England in 1290*,*The Jews Quarterly Review*, university of Pennsylvania, no 2 ,Vol,55, 1964,pp117-136.

فرض شارة خاصة توضع على ملابسهم، الوازع الديني للملك وتأثره برجال الدين المتشددين الذين أصروا على حظر الربا.

لكن المؤرخ بارنيت د. أوفروت Barnett D. Ovrut رفض كل أسباب الطرد السابقة، وبخاصة الأسباب الدينية قائلاً " أنه على الرغم من وجود المواقف المعادية لليهود والسائدة وكانت صارخة من قبل رجال الدين وعامة السكان، فلم يكن الملوك الإنجليز من النوع الذي يرضخ بسهولة لمطالب الآخرين إذا تعارضت مع مصالحهم الشخصية، حتى الكنيسة وهي السلطة الدينية الأعلى لم تدع أبداً لطردهم اليهود من أي أرض مسيحية، بل كانت تهتم بتقعيد التفاعل الاجتماعي بين المسيحيين واليهود، كما أن الكراهية الاجتماعية لليهود في الغالب كانت لأسباب اقتصادية، لأن معظم أعمال الشغب والمذابح التي حدثت ضد اليهود كما أوضح James Parker " أن مثيري هذه الاضطرابات كانوا يرغبون في تدمير سجلات ديونهم عمداً" ^(١).

أما السبب الحقيقي لطرده الملك لليهود من وجهة نظره فتعلق بعمل المرابين اليهود في نقل ملكية الأراضي الزراعية، عن طريق بيع عقود ملكية الأراضي والإيجارات المرهونة المصادرة من أصحابها في حالة عجزهم عن السداد، للهيئات أو الأشخاص الذين تتوافر لديهم النقود الجاهزة مثل الأديرة الكبرى Monasteries والبارونات Barons ذوي النفوذ والسلطة، بالإضافة إلى عدد قليل من التجار الأثرياء والمسؤولين في البلاط الملكي، ولا شك في أن هذه الممارسات قد أثارت قلق الملك وخوفه من فكرة تراكم الأراضي في أيدي البارونات والأديرة، لأن ذلك سيؤدي إلى اكتسابهم للثروة والسلطة السياسية والعسكرية ومعارضة التاج، لأن البارونات ورجال الدين ثاروا على والده الملك هنري الثالث قبل ذلك بزعامة سيمون دي

(1) Ovrut, B.D., *Edward I and Expulsion of the Jews*, The Jews Quarterly Review, Vol. 67, No. 4, University of Pennsylvania, (Apr., 1977), p. 227.

مونتفورت، بالإضافة إلى الخسائر الاقتصادية للملك؛ لأنه سيفقد الخدمات العلمانية المقدمة له بسبب شراء الأديرة لهذه الأراضي كالولاء والتبعية والخدمة العسكرية، والإيرادات الضريبية وغيرها من الخدمات الأخرى، كما أثار بيع الأراضي الزراعية لصغار الملاك استيائهم، وشكل هذا الاستياء عنصرًا مهمًا في معارضة الملك في الفترة ١٢٥٨-١٢٦٥م خلال حرب البارونات، حيث انضم هؤلاء إلى حركة سيمون دي مونتفورت، واشتكووا إلى برلمان أكسفورد Oxford Parlimen من أن اليهود اعتادوا بيع أراضيهم المرهونة للبارونات ^(١).

ولذلك أصدر الملك إدوارد سلسلة من التشريعات بين عامي ١٢٦٩ - ١٢٧٥م للقضاء على هذا الخطر، منها: مرسوم عام ١٢٦٩م الذي نص على حظر بيع اليهود لعقود الأراضي الزراعية والإيجارات للمسيحيين، وقانون اليهودية لعام ١٢٧٥م وحظر فيه على اليهود ممارسة الربا، لكن هذه القرارات لم تؤت ثمارها وفشلت في تقييد دور اليهود في سوق الأراضي، لذلك اتخذ الملك القرار النهائي بطرد اليهود من مملكته عام ١٢٩٠م لتعزيز سلطته السياسية بصفته ملكًا إقطاعيًا وسيدًا أعلى وللحد من نفوذ خصومه السياسيين ^(٢).

كما ورد أيضًا في سجلات هولينشد Holinshed's Chronicles أن طرد اليهود من إنجلترا كان بسبب الربا فذكر فيها " أن الربا اليهودي كان يمارس مما أدى إلى هلاك الكثير من الرجال الشرفاء، وذكر المؤرخ جون سبيد John Speed وهو من مؤرخي القرن السادس عشر الميلادي أنه في عهد الملك إدوارد " أكل الربا القاسي لليهود شعب الملك حتى العظام"، وأشار أيضًا إلى دور اليهود كقطاعي ومزيفي عملة الملك ومزوري الأختام والمواثيق ^(٣)، ورأى المؤرخ توماس فريدريك

(1)Ovrut,B.D., Edward I and Expulsion of the Jews, p.229.

(2)Ovrut,B.D., Edward I and Expulsion of the Jews, pp.230-233.

(3) See, Speed ,J. The History of Great Britain under Conquests of Romans , Saxon,

Thomas Frederick أن طرد الملك لليهود كان نتيجة لجشعهم وحبهم للمال وسيطرتهم على الحياة الاقتصادية^(١).

بالإضافة إلى ما سبق ذكر روبن موندل في كتابه "يهود الملك" أن إدوارد لم يجن الكثير من المال من طرد اليهود، على عكس جده جون الذي حاول تحصيل ديون هارون من لينكولن بأثر رجعي، وأن إدوارد لم يضغط على شعبه لتحصيل ديونه المستحقة لليهود بل قام بتسجيلها فقط، وحرص على الحصول على تقرير كامل عما خلفه اليهود وراءهم، وتشير الإحصائيات إلى أن السندات والحسابات التي تمثل الديون كانت بقيمة اسمية تقريبية تبلغ ٢٠,٠٠٠ جنيه إسترليني، ولا يبدو أنه ألغها علناً ولم يصدر عفو عام عن ديون اليهود إلا في عام ١٣٢٦م^(٢).

وبتحليل آراء المؤرخين اليهود والغربيين حول أسباب طرد الملك إدوارد لليهود من إنجلترا عام ١٢٩٠م، مع مقارنة ذلك بما سبق عرضه من أحداث خلال العهد السابقة يتضح ما يلي:

أن الملوك سمحوا لليهود برفع قيمة الفائدة على القروض تحت حمايتهم، مقابل تحصيل الضرائب منهم للإنفاق على حملاتهم الصليبية ومعاركهم ضد فرنسا، وبالتالي تزايد العداء الشعبي تجاه اليهود بسبب كثرة الديون، ولأنهم أيضاً أداة في يد الملوك يستنزفون بها أموالهم عن طريق الربا، ويمكننا القول: إن طرد اليهود من إنجلترا جاء نتيجة لعدة أسباب سياسية واقتصادية واجتماعية ودينية ترتبط جميعها بممارسة اليهود للربا:

١- خوف الملك على سلطته السياسية بسبب بيع المرابين اليهود لعقود

→→→

Danes and Normans, London, 1611, p. 625., in Dew, B. Jewish Exclusions: Eighteenth - Century Historians and Expulsion of England's Jews, pp. 2-3.

(1) See ,Tout, T.F., The History of England from the accession of Henry III to the death of Edward III , London, 1904, pp. 175-176.

(2) Mundill, R., The King's Jews , pp. 159-160.

ملكية الأراضي الزراعية التي استولوا عليها من صغار الملاك المتعثرين، ونقلها إلى البارونات والأديرة، مما يعزز من سلطة هؤلاء على حساب سلطة الملك.

٢- العداة الشعبي لليهود نتيجة لارتفاع أسعار الفائدة وتراكم الديون وعجز الناس عن السداد.

٣- إدانة الكنيسة المتكررة للربا اليهودي، ومناشدة اليهود بعدم أخذ ربا مفرط وجائر من المسيحيين، ثم إصدارها قرارات بمنع اليهود من تحصيل أي فائدة وتوقيع عقوبة الحرمان الكنسي على من يساعد المرابين.

٤- عدم امتثال اليهود لقرارات حظر الربا الصادرة عام ١٢٧٥م من الملك إدوارد الأول.

٥- وجود الممولين الإيطاليين في إنجلترا وبالتالي أصبح من الممكن الاستغناء عن اليهود.

٦- موافقة البرلمان الإنجليزي على طرد اليهود مقابل فرض الملك للضرائب كما أشار بول براند.

٧- أما العداة الديني فكان موجوداً بالفعل بسبب تهم تدنيس القربان المقدس والقتل الطقوسي، بالإضافة إلى الدعوة للحملات الصليبية، ومع ذلك لم يكن السبب الرئيس في طرد اليهود من إنجلترا.

٣- المعاملات الربوية لليهود فرنسا وأثرها على طردهم منها ١٣٠٦م:

كان الوضع السياسي لليهود في فرنسا مختلفاً عن إنجلترا، لأنهم لم يخضعوا مباشرة لسلطة الملك الفرنسي بل كان كل حاكم إقطاع بمثابة ملكاً لهم في إقطاعه، ولم يكن من المسموح لهم مغادرة أراضيه إلا بإذنه، ويُعتبر أيضاً المالك الأعلى لممتلكاتهم ومن حقه جمع الضرائب منهم، ويتضح من ذلك أن العلاقة بين اليهود والسلطة الملكية في إنجلترا وفرنسا خلال القرنين الثاني والثالث عشر الميلاديين، وإن كانت قد اختلفت في شكلها إلا أنها انتجت نمطاً مُتقارباً في المعنى وهو " اعتبار

اليهود ملكية " اقتصادية - سياسية " خاصة بالملك أو للسادة الإقطاعيين الذين ضمنوا لهم الحماية مقابل دفع الضرائب ^(١).

وأشار بعض المؤرخين إلى أن المعاملات الربوية لليهود انتشرت بشكل كبير في فرنسا خلال تلك الفترة ^(٢)، وأن قيمة الفائدة على القروض تراوحت ما بين ٥٠% إلى ٨٠%، واستدلوا على ذلك بوصول سعر الفائدة في عهد البابا أنوسنت الثالث Innocent III (١١٩٨-١٢١٦م) ^(٣) إلى ٦٥%، وأن أحد الأديرة في إقليم شامباني Champagne بفرنسا اقترض من مرابٍ يهودي ^(٤)، واضطر الدير لبيع

(1) Patschovsky, A. The Relationship between The Jews of Jermamy and the King , pp.206-207.

(2) Romsics, A. C., The dissolution of the Templar order and the expulsion of the Jews , p.30.

(٣) أنوسنت الثالث Innocent III: ولد حوالي عام ١١٦٠ م وهو في الأصل من لوتاريو Lotario الإيطالية، درس اللاهوت في باريس والقانون الكنسي في بولونيا، وتدرج في السلك الكنسي حتى صار كاردينالاً عام ١١٩٠ م وألف عدة مؤلفات وأظهر مهارة إدارية فائقة، فتم تنصيبه على الكرسي البابوي من يناير ١١٩٨ م إلى يوليو ١٢١٦ م خلفاً للبابا كلستين الثالث Clestin III (١١٩١ - ١١٩٨ م)، دعا أنوسنت إلى شن حملة صليبية ضد العناصر الألبيجنسية في جنوبي فرنسا، وكان له دوره في دعم الحملة الصليبية الرابعة (١٢٠٢-١٢٠٤م)، وتوفي عام ١٢١٦ م.

Kelly, J. N. D. , The Oxford Dictionary of Popes , Oxford, Oxford university, 1988, pp. 186 - 188.

ياسر كامل محمود، البابوية ويهود غرب أوروبا عصر الحروب الصليبية ص ٢٦٣.

(٤) يقع إقليم شامباني في شرق فرنسا على ضفاف نهر المارن Marne ويعد من أغني المناطق المنتجة للنبيذ في تلك الفترة، ولهذا الإقليم أهمية جغرافية كبيرة لأنه يقع عند تقاطع الطرق بين الشمال والجنوب، ولذلك أقيمت فيه أشهر أسواق أوروبا العالمية وهي أسواق شامباني خلال القرنين الثاني والثالث عشر الميلاديين.

Grabois, A. , The Illustred Encyclopedia of Medieval Civilization, London, 1980, P.185.

جزء من أراضيه لسداد هذا الدين^(١).

وتُقدّم لنا كتابات المفكرين ورجال الدين الفرنسيين صورة عن المرابين اليهود (انظر الشكل رقم ٤) في القرن الثاني عشر الميلادي، وكيف جمعوا ثرواتهم والأسباب الكامنة وراء العداء الشعبي لهم، فأشار الفيلسوف والمفكر بيتر أبيلارد Peter Abelard (١٠٧٩ - ١١٤٢ م)^(٢) في كتابه " حوار بين فيلسوف يهودي ومسيحي" أنه أجرى حوارًا مع أحد اليهود حول أسباب عملهم في الربا، فأجابه قائلاً: "نحن مضطهدون لأننا قتلنا إله المسيحيين، ونعيش في المنفى وفي خوف دائم على حياتنا ومعيشتنا، لذا فإن الطريقة الوحيدة للحفاظ على وجودنا البائس هي تحقيق الربح وإقراض الغرباء، وهذا ما يجعلنا نحظى بكرهية الجميع"^(٣). يتضح من هذا الحوار أن عمل اليهود في الربا كان السبب في كراهية

→→→

زينب أبو الأنوار، أسواق وتجار أوروبا، ص ١١٠.

(1) Belloc, H., *The Jews*, London, 1922, p. 217.

Mell, J., *usury as Deviance in Medieval Eruope*, pp. 122-123.

ياسر كامل محمود، اليابوية ويهود غرب أوروبا عصر الحروب الصليبية ص ٢٦٣.

(٢) أبيلارد: لا توجد شخصية أكثر أهمية وشهرة في التاريخ الفكري للقرن الثاني عشر من أبيلارد، فهو فيلسوف وعالم لاهوت، ولد في بلدة لي باليه Le palet بإقليم بريتاني Brittany في شمال غرب فرنسا عام ١٠٧٩ م وتوفي عام ١١٤٢ م.

Abelard, P., *Historia Calamitatum*, Trans by. Bellows, A. H., New York, 1922, p. 50, Thorndike, L., *University Record's and Life in The Middle Ages*, New York, 1944, p. 3.

وللمزيد عن أبيلارد انظر: ياسر عبد المعبود عبدالله، أبيلارد ومكانته في الثقافة الأوروبية الوسيطة (١٠٧٩ - ١١٤٢)، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة عين شمس، كلية البنات، قسم التاريخ، ٢٠٠٧ م.

Abelard, P., *Ouvres Choisies*, éd. Gandillac de, M. Paris, 1945, P. 23.

(3) Abelard, P., *Collationes*, ed. and trans. John Marenbon and Giovanni Orlandi (Oxford: Clarendon Press, 2001), 16-21, Mell, J., *usury as Deviance in Medieval Eruope*, p. 125.

الجميع لهم.

وفي عهد لويس السابع (١١٣٧-١١٨٠م) انتهج هذا الملك سياسة ملوك إنجلترا المعاصرين له ^(١)، وهي جمع الضرائب من اليهود لتجهيز الحملة الصليبية الثانية (١١٤٧-١١٤٩م)، وخلال الإعداد لهذه الحملة، كتب بيتر من مونتباسير الملقب ببطرس المبجل (١٠٩٢-١١٥٦م) ورئيس دير كلوني رسالة إلى الملك لتقديم النصح والمشورة، جاء فيها "أنقذ أرواحهم ولكن خذ أموالهم، ستساعد أموال هؤلاء اليهود التائبين المسيحيين في تحقيق النصر على المسلمين في الشرق، وهذا انتقام عادل لجرائم اليهود، فما هو أكثر عدلاً من أن يترك أولئك الذين استولوا على الأموال بالاحتيال معدمين، أولئك الذين سرقوا بشراسة كاللصوص، وما هو أسوأ من ذلك الجرأة مع الإفلات من العقاب إنهم يسرقون، وما أقوله قد لاحظته الجميع، لأنهم لم يحصلوا على أموالهم من الزراعة أو من الخدمة العسكرية، ولا بأي مهنة شريفة أخرى، لقد ملأ اليهود حظائرهم بالمحاصيل وأقيبتهم بالخمور، وحقائبهم بالعملات المعدنية، وصناديقهم بالذهب والفضة، وكما قلت أخذوها بمكر من المسيحيين عن طريق الشراء خلسه من اللصوص، والحصول على كل ما هو غالٍ بثمن رخيص ^(٢).

وفي موضع آخر تحدث قائلاً: "من يأخذ الربا فهو سارق" فعندما يقتحم اللص كنيسة ويسرق الأواني المقدسة ويذهب بها إلى معابد الشيطان لبيعها أو رهنها فهذه سرقة، كما اتهم بطرس اليهود أيضاً بتدنيس القربان المقدس قائلاً إنهم "يدنسون هذه الأوعية التي يسكن بها المسيح الآن بين البشر، ويجرؤون على الإساءة إليه ومهاجمته دون توقف، ولا بد أنه يشعر بالاستياء وهذا عار لأنفسنا"،

(١) فاطمة عبد اللطيف الشناوي، انتهاك حقوق سكان فيتري تحت حكم الملك لويس السابع، ص ١٦٢.

(2) The Letters of Peter the Venerable, Letter 130 in Giles Constable, Vol. I, ed., Cambridge, and Harvard University Press, 1967, pp. 329-330.

وترى جولي ميل Juli Mell أن بطرس المبجل أثناء حديثه عن الربا، وبدلاً من التركيز على سرقة المسيحي للأواني، ركز على أخذ اليهود لها وتدنيسها وأنه أضاف في عباراته أوصافاً تدل على كراهيته الدينية لهم فيما اعتبرته معاداة للسامية وأن إدانة اليهود تمت على أساس ديني وليس على أساس اقتصادي^(١).

وعلى أي حال تعطينا هذه الرسالة فكرة واضحة عن الصورة النمطية السائدة للمرابين اليهود في فرنسا خلال هذه الفترة، وتمثلت هذه الصورة في وصفهم بصفات سيئة مثل: "الجشع والطمع واللصوصية"، وتُصور أيضاً الثراء الكبير الذي تمتع به اليهود نتيجة عملهم بالربا وغيره من الأعمال الغير مشروعة، بالإضافة إلى اتهامهم بتدنيس القربان المقدس.

وعلى الرغم من أن برنارد كليرفو Bernard of Clairvoux (١٠٩١-١١٥٣) - (١١٥٣م) (١٠٩١-١١٥٣م)^(٢)، زعيم الرهبان السسترشيان ورئيس دير كليرفو، حذّر خلال دعوته للحملة الصليبية الثانية عام ١١٤٦م من قتل اليهود كما حدث في الحملة الأولى (١٠٩٦-١٠٩٩م)، إلا أنه استخدم لغةً تشير إلى "الطمع اليهودي"، وفي إحدى رسائله أشار إلى أن المسيحيين الذين يقرضون المال بالربا هم "يهود

(1) Mell, J., *usury as Deviance in Medieval Eruope*, p.127.

(٢) وُلد برنارد في فونتين لى ديجون Fontaines-Les-Dijon، مدينة والده في إقليم برجندياً، واختلف المؤرخون في تحديد السنة التي ولد فيها، فأشار بعضهم إلى أنه ولد في عام ١١٩٠م وهو الرأي الأكثر صواباً، بينما ذكر آخرون أنه ولد في عام ١١٩١م، ومع ذلك اتفقوا على تحديد تاريخ وفاته وهو ٢٠ أغسطس عام ١١٥٣م، ويعد من أبرز وأهم رجال الدين في أوروبا خلال القرن الثاني عشر، لأنه سعي جاهدًا لإصلاح أحوال الكنيسة، ودعا للحملة الصليبية الثانية ضد المسلمين.

William of Saint Thierry, Arnold of Bonneval, Geoffrey of Auxerre, (*Vita Prima Sancti Bernardi Claraevallis Abbatis*), *The First Life of Bernard Clairvoux*, Trans From Latin to English. By, Hilary Costello, Liturgical Press, Collegeville, Minnesota, 2011, P.3.

أكثر سوءاً"، لأنهم بحسب قوله يمارسون الربا ضد إخوانهم المسيحيين، بينما لا يمارس اليهود الربا إلا مع الغرباء ^(١).

يشير هذا التعليق إلى أن ممارسة الربا قد انتشرت في فرنسا بين المسيحيين، وربط برنارد الربا باليهود يعبر عن أن ممارسته امتداداً للهوية اليهودية ومؤشراً على الانحراف الأخلاقي والديني.

وبعد وفاة الملك لويس السابع تولى الحكم ابنه الشاب فيليب الثاني أوغسطس (١١٨٠-١٢٢٣م)، الذي انتهج سياسة مختلفة عن سياسة والده تجاه اليهود، ففي عام ١١٨٢م قام بطرد اليهود الذين عاشوا في النطاق الملكي لمدة ستة عشر عاماً، وصادر ممتلكاتهم وباعها في المزادات العلنية، أما عن سبب الطرد فيذكر أنه كان بسبب حاجة الملك للمال لتمويل حملاته العسكرية ضد إنجلترا والإعداد للحملة الصليبية الثالثة ^(٢)، وفي عام ١١٨٩م استدعاهم مرة أخرى ويرجح أن السبب في ذلك هو الأثر الاقتصادي السلبي الذي نتج عن غياب الضرائب التي كانوا يدفعونها ^(٣).

وبعد عودتهم أنشئت إدارة مالية مركزية، وحدد الملك بالاتفاق مع اليهود والبارونات إجراءات الإقراض، ووضع هذه الإدارة تحت ولايته القضائية، وحدد لهم حقوقه في الأرباح الناتجة من الربا اليهودي، كما وقع أكثر من ثماني عشرة وثيقة

(1) Bernard of Clairvaux, "Epistola 363," in *Sämtliche Werke: lateinischdeutsch*, ed. Gerhard B.Winkler, Alberich Altermatt, and Denis M. Farkasfalvy, 10 vols. (Innsbruck: Tyrolia, 1990-1999), Vol.3, pp.311-322.

إيمان على محمد عوض، القديس برنارد كليرفو ودوره الديني والسياسي في غرب أوروبا (١٠٩٠-١١٥٣م)، نور حوران، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠٢١، ص ٦٣-٦٤.

(2) Barkey, K, & Katznelson, I., *States, regimes, and decisions: Why Jews were expelled From Medieval England and France*, p.487.

(3) Romsics, A.C., *The dissolution of the Templar order and the expulsion of the Jews*, p.30.

مع باروناته بخصوص الوضع الجديد لليهود في المملكة، وفي عام ١١٩٨م أصدر مرسومًا قيد فيه حرية انتقال اليهود من منطقة إقطاعية إلى أخرى، مع إلزام السادة الإقطاعيين بذلك وتعهدهم بعدم قبول يهود تابعين لسيد آخر ^(١).

ويشير بعض المؤرخين إلى إسهام اليهود في فرنسا خلال هذه الفترة في تطور النشاط الاقتصادي في العديد من المدن، حيث تولوا إدارة الأسواق التجارية وتمويل التجارة الخارجية ^(٢)، فعلى سبيل المثال في أسواق شامباني الدولية Champagne ^(٣)، والتي تعد من أولى مراكز الإقراض في أوروبا ^(٤)، عملوا على توفير رأس المال اللازم للتجار الأوروبيين من خلال نظام ائتماني متقدم يعتمد على الحوالات والرسائل المالية Letters de Foire، وقد نجح هذا النظام في تقليل الحاجة إلى نقل كميات كبيرة من النقود المعدنية، مما ساهم في زيادة أمان حركة التجارة وازدهارها ^(٥).

وبالإضافة إلى إقراض المزارعين والحرفيين، اشتهر اليهود أيضًا بالعمل في صناعة الذهب والفضة في بعض المناطق نظرًا لثرائهم الكبير، وعلى الرغم من تحريم

(1) Barkey, K, & Katznelson, I., *States, regimes, and decisions: Why Jews were expelled From Medieval England and France*, p.487.

(2) Lupovitch, H. N., *Jews and Judaism in World History* P.79.

(3) Grabois, A., *The Illustrated Encyclopedia of Medieval Civilization*, P.185.

زينب أبو الأنوار، أسواق وتجار أوروبا، ص ١١٠.

(4) Romsics, A.C., *The dissolution of the Templar order and the expulsion of the Jews*, p.18.

(٥) الحوالات: وثائق مالية يستخدمها التجار لتحويل الأموال بين المناطق المختلفة دون الحاجة لنقل الأموال. والرسائل المالية: رسائل المعارض وهي أيضًا وسيلة ائتمانية شائعة في القرن الثالث عشر تستخدم لتوثيق المعاملات التجارية التي تتم في الأسواق والمعارض الدولية الكبيرة وتحتوى على تفاصيل مثل مبلغ الدين، أسماء الأطراف المعنية (الدائن والمدين) وتاريخ ومكان السداد.

See: Hunt, E.S., & Murray, J.M. *A history of Business*, p.29, Kallioinen, M., *Long distance Trade in Medieval Europe*, p.14.

الكنيسة للربا كانت المجتمعات المسيحية بحاجة إلى بدائل لتمويل مشاريعها الاقتصادية المتنامية، مثل: التجارة طويلة المدى، وبناء المدن والتوسع العمراني، وبما أن اليهود لم يكونوا ملزمين بالتعاليم المسيحية التي تحرم الربا، فقد أصبحوا وسطاء ماليين ضروريين خلال تلك الفترة^(١).

لكن الأمور تغيرت بتولي الملك لويس التاسع (١٢٢٦-١٢٧٠م) الملقب بالقدّيس لويس Saint Louis الحكم^(٢)، فمن الملاحظ والمتفق عليه بين المؤرخين أن سياسته تجاه المرابين اليهود كانت أكثر شدة وصرامة من أي ملك آخر، فاستهل عهده بمهاجمتهم بسبب الربا، وفي عام ١٢٣٠م أصدر مرسومًا بحظر الربا، عُرف بمرسوم ميلون Ordinance of Melon، وفي وقت لاحق وسع نطاق هذا الحظر ليشمل الأراضي الجنوبية لمملكته في منتصف أربعينيات القرن الثالث عشر الميلادي^(٣).

وبعد عودته من حملته الصليبية السابعة على مصر عام ١٢٥٤م، هدد اليهود بالطرد ما لم يتوقفوا عما وصفه "بنجاستهم" المتمثلة في ممارسة الربا والسحر

(1) Lupovitch, H. N. *Jews and Judaism in World History*, P. 77-79.

(٢) لويس التاسع: تولى الحكم بعد وفاة والده لويس الثامن في الثامن من نوفمبر ١٢٢٦م، أما والدته فهي الملكة بلانش Blanche القشتالية التي اشتهرت بتدينها مما أثر في تنشئة ابنها لويس ولذلك لقب بالقدّيس، قرر القيام بالحملة الصليبية السابعة (١٢٤٨-١٢٥٤م) على مصر بعد ضياع القدس من أيدي الصليبيين، وفشل فيها كما فشل في حملته على تونس ١٢٧٠، وتوفي بعدها مباشرة في نفس العام. للمزيد عنه انظر: حسن حبشي، الشرق العربي بين شق الرحى " حملة لويس على مصر والشام"، دار الفكر العربي، ١٩٤٩، ص ١٣-٢٥.

جوانفيل، القدّيس لويس " حياته وحملته على مص والشام، ترجمة د/ حسن حبشي، ط ١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ٨١-٩٣.

(3) Barkey, K. & Katznelson, I., *States, regimes, and decisions: Why Jews were expelled From Medieval England and France*, p. 493.

والتجديف، ثم أصدر مرسومًا بحظر ممارسة اليهود للربا في فرنسا ^(١)، بالإضافة إلى ذلك ألغى ديون اليهود المستحقة للكنيسة والحكومة، وخفّض ثلث ديونهم على الرعايا الفرنسيين، وعندما علم أن التلمود يحتوي على نصوص تُجيز لليهود خداع غيرهم وابتزاز أموالهم بالربا الفاحش، أمر بجمع نسخ التلمود من جميع أنحاء البلاد وأحرقها في مدينة باريس ^(٢).

يتضح مما سبق أن الملك لويس التاسع كانت لديه رغبة حقيقية في طرد جميع المرابين من فرنسا، سواء كانوا يهودًا أو غيرهم لأنهم أسهموا في إفقار المملكة على حد وصفه، يضاف إلى ذلك أنه أصدر قانونًا بحظر الربا اليهودي في فرنسا قبل صدوره في إنجلترا.

وفي هذا السياق أشار المؤرخ اليهودي كينيث آر. ستو بأن مجمع بيزيه الثاني Bezier Council of الذي عقد في عام ١٢٥٥ م، تمت فيه الموافقة على قوانين أمرت اليهود بالكف عن الربا والتجديف والسحر، وتم تحذير المسؤولين ليكونوا على حذر لئلا يحصل اليهود على أي ربا، كانت هذه القوانين من اقتراح الملك الفرنسي لويس التاسع، الذي أقتع المندوب البابوي - الذي وافق سابقًا على منع اليهود بأخذ ربا مفرط فقط - بأن يغير وجهة نظره ويوافق على منع اليهود من أخذ الربا مطلقًا، وأن لويس أجبر اليهود في مملكته على رد الفوائد التي أخذوها سابقًا إلى مستحقها ^(٣).

وعلى أي حال سار الملك فيليب الثالث Philip III الملقب بالجريء (١٢٧٠-١٢٨٥ م)، على نهج والده في سياسته تجاه اليهود، فأصدر مرسومًا في

(1) Romsics, A.C., *The dissolution of the Templar order and the expulsion of the Jews*, pp.25-26.

(2) Hayms, P.R., *The Jews in Medieval England 1066-12090*, pp.188-190.

سعيد عاشور، اليهود في العصور الوسطى، ص ٩٩-٨٩.

(3) Stow, K.R., *Papel and Royal attitudes toward Jewish Lending* pp.175-176.

عام ١٢٨٣م نص على حظر التلمود، ومنع اليهود من بناء معابد جديدة، وحرّم توظيف المسيحيين كخدم وممرضات في منازل اليهود^(١).

وبعد وفاته تولى ابنه الملك فيليب الرابع العرش (١٢٨٥-١٣١٤م)^(٢)، وفي بداية حكمه اضطر بسبب حاجته الشديدة للمال لمواصلة حروبه ضد إنجلترا والفلمنكيين في إقليم الفلاندرز^(٣)، إلى اتخاذ إجراءات مالية تعسفية شملت هذه الاجراءات طرد جميع رجال المال والسيارفة اللومبارديين من فرنسا عام ١٢٩١م بعد مصادرة ممتلكاتهم، بينما وضع اليهود تحت حمايته مقابل اقتسام أرباحهم^(٤).

وعلى الرغم من أنه أكد في البداية على حق اليهود في امتلاك معابدهم ومقابرهم الخاصة، إلا أن سياسته تجاههم تبدلت لاحقاً، ففرض عليهم ارتداء شارات التابولا الصفراء التي تميزهم عن المسيحيين، وأصر على تطبيق قوانين مكافحة الربا اليهودي التي سنّها جده القديس لويس التاسع^(٥)، وبلغت هذه السياسات ذروتها في

(1) Romsics, A.C., *The dissolution of the Templar order and the expulsion of the Jews*, pp.25-26.

(٢) جمال فاروق الوكيل: سياسة الملك الفرنسي فيليب الرابع "الجميل" تجاه جماعة الفرسان الداوية "١٢٨٥م - ١٣١٤م"، ص ٧٧-٧٨.

(٣) سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا في العصور الوسطى، ج١، مكتبة لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٦٤م، ص ٢٨٢.

(٤) إقليم فلاندرز: يُعد أحد المقاطعات الفرنسية التي تمتد على طول الساحل الجنوبي الغربي للأراضي المنخفضة وهي حالياً "مقسمة بين فرنسا وبلجيكا"، وكانت من أشهر المراكز التجارية خاصة في صناعة الأقمشة، وذلك بفضل موقعها الاستراتيجي بين البحر المتوسط والدول الاسكندنافية ودول البلطيق، وكانت تابعه في بعض الفترات لدوقية برجنديا، عن ذلك انظر

See, Moore, W.G., *the penguin Encyclopedia of Places, Britanian*, 1978, p.280.

(5) See, Eusebe de Lauriere(eds): *Ordonnances des roys de France de la troisième race, recueillies par ordre chronologique.I* (Paris de L'imprimerie Royale 1723), p.75, In

٢٢ يوليو من عام ١٣٠٦م عندما صادر ممتلكاتهم وأمر بطردهم من بلاده، وجاء هذا القرار مفاجئاً كما ذكرت معظم المصادر المعاصرة، مثل: مجموعة مؤرخي بلاد الغال وفرنسا *Recueil des Historiens de la Gaule et de France* التي ورد فيها: " في هذا العام عينه طرد جميع اليهود من مملكة فرنسا بأمر الملك في عيد مريم المجدلية، وتمت مصادرة جميع ممتلكاتهم لصالح الملك"، وكتب برنارد غيدوني Bernard Guidonis: "إن الملك أمر بإلقاء القبض على اليهود في جميع أنحاء المملكة في يوم واحد، وتمت مصادرة كل ممتلكاتهم كما لو أنهم لن يعودوا إليها أبداً"، وأضاف الراهب جان من دير القديس فيكتور Jan de Saint Victor أن عددًا قليلاً من اليهود اعتنقوا المسيحية لتفادي الطرد^(١).

وأضاف المؤرخ ويليام تشيستر جوردان أن الملك خطط سرًا مع مستشاريه لطرد اليهود، على غرار ما فعله الإنجليز عام ١٢٩٠م، وكان عددهم يتراوح ما بين مئة ألف ومئة وخمسين ألفاً، أوكل الملك تنفيذ هذه المهمة إلى نوابه المقربين، ولم يعلن عن الأمر خشية من معارضة بعض السادة الإقطاعيين لقراره^(٢).
وقد اختلف المؤرخون في تفسير أسباب هذا الطرد:

ويبدأ تناولنا بعرض وجهة نظر المؤرخ اليهودي سيمون رافائيل شفارتس فوكس Simon.R Schwartzfuchs، الذي أشار إلى أن هناك ثلاث



Romsics, A.C., *The dissolution of the Templar order and the expulsion of the Jews*, p.33.

(1) See, *Recueil des Historiens de la Gaule et de France*, Vol. XX, Imprimerie Nationale, Paris, 1840, p.680, Schwarzfuchs, S.R., *The expulsion of the Jews from France (1306)* *The Jewish Quarterly Review*, 57(4), university of Pennsylvania press, 1967, pp. 482-483.

سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا في العصور الوسطى، ج ١، ص ٢٨٢.

(2) Jordan, W.C., *Administering expulsion in 1306. In French Monarchy and the Jews*, pp.243-250.

نظريات لتفسير طرد اليهود من فرنسا عام ١٣٠٦م.

أولاً: نظرية الجشع الملكي: التي طرحها المؤرخ غريetz Graetz، وترى أن طمع الملك في أموال اليهود كان السبب الرئيس في طردهم من فرنسا، وليس إرادة الكنيسة أو رغبة الشعب كما ادعى البعض^(١).

ثانياً: نظرية الربا اليهودي: التي قدمها ثيوفيل هاليز Theophile Haliez، وتشير إلى أن الطرد جاء نتيجة للشكاوى المتزايدة من الربا اليهودي، وربما كان هذا الطرد هو الثمن الذي كان الملك مستعداً لدفعه مقابل صمت الكنيسة والنبلاء في صراعه ضد فرسان الهيكل^(٢).

(1) Schwarzfuchs, S.R. The expulsion of the Jews from France (1306), p.484.

(٢) ظهرت هذه الجماعة عام ٥١٢هـ/١١١٨م استجابة لتحذ عاني منه الصليبيون بعد استقرارهم في الساحل الشامي تمثل في نقص القوة المدافعة عن مملكة بيت المقدس، وامتلكت ثروة طائلة واتسم تنظيمها بالقوة والغطرسة، فكسب حقد وحسد الملوك والأمراء، رغم مشاركة هؤلاء الفرسان جنباً إلى جنب مع الصليبيين في الحروب الصليبية، وأزهقت أرواح الكثيرين منهم، وانتهت أسطورتهم بسقوط عكا على يد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون في ١٧ جمادى أول ٥٦٩٠ / ١٨ مايو ١٢٩١م، واستسلموا بعدها وانتهت مقاومتهم للمسلمين ٢٧ جمادى أول / ٢٨ مايو ١٢٩١م، وعقب تلك الهزيمة عادوا ثانية إلى فرنسا، لتكتب شهادة وفاتهم على يد الملك الفرنسي فيليب الرابع الملقب بالجميل بعد أن عجز عن دفع ديونه الضخمة لهم، والتي أثقلت كاهله، ولذا في ١٣ أكتوبر ١٣٠٧م اعتقل الكثيرون من الفرنسيين الذين ينتمون لهذا التنظيم وخاصة كبارهم قبل صغارهم، وتعرضت هذه العناصر إلى شتى ألوان التعذيب في سجون الملك فيليب الجميل حتى اضطروا إلى تقديم اعترافات مختلفة في المحاكمات التي أقامها لهم الملك الفرنسي، وانتهى مصيرهم بالإعدام في المحرقة، وفي ٢ مارس ١٣١٢م أرسل فيليب الرابع خطاباً إلى البابا كليمنت الخامس (١٣٠٥ - ١٣١٤م) Clement V يخبره فيه بإلغاء تنظيم فرسان الداوية، عن ذلك انظر: جمال فاروق الوكيل: الموارد الاقتصادية لجماعة الفرسان الداوية وأثرها على نشاطهم الاقتصادي والمالي، مجلة المؤرخ المصري، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ع ٥١، ٢٠١٧، ص ١٣٦-١٣٧.

←←←

ثالثاً: نظرية النزعة القومية: التي ذكرها سالوبارون Salo , W. Paron، وترى أن الطرد يعكس تصاعد النزعة القومية في الدول الأوروبية ومنها فرنسا، فحينما تُحقق الدولة تجانساً كاملاً فإنها تتجه عادة نحو طرد الأقليات، وهو ما يرى بارون أن فرنسا حققتة في عهد فيليب الرابع^(١).

ويرفض سيمون رفايل النظريتين الثانية والثالثة، مؤيداً النظرية الأولى التي ترى أن طمع الملك في أموال اليهود كان السبب الحقيقي وراء الطرد، ليتمكن من إعادة تقييم العملة الفرنسية، ويستدل على ذلك بدعوة الملك لليهود إلى فرنسا لمساعدته في تحديد القروض المستحقة لهم، لكنه عاد وطردهم مرة أخرى في أغسطس ١٣١١م بعد أن اشتكى بشدة من عدم تعاونهم ورغبتهم في كسب المال لأنفسهم^(٢).

أما المؤرخ كينيث آر. ستو وهو يهودي أيضاً فيذكر " أن موقف الملك لويس التاسع من الربا اليهودي كان أشد من موقف الباباوات في عصره، لأنه حظر بشكل قاطع أي فوائد ربوية، في حين سمحت البابوية بأخذ فائدة معتدلة، وقد طبق لويس هذا الحظر بشدة لإنهاء أي علاقات تجارية مع اليهود للقضاء على الربا، وهوما يعكس نزعة الدينية المتشددة، ورغبته في تطهير مملكته مما اعتبره فساداً، ويرى ستو أن البابوية أبدت تفهماً لحاجة الاقتصاد إلى الربا وسمحت لليهود بأخذ فائدة معتدلة، بينما تشدد الملوك وأصروا على حظر الربا اليهودي، مما أظهر قصر نظرهم وعدم إدراكهم لحاجة الاقتصاد الملحة إلى الربا اليهودي، وقد اتبع فيليب الرابع سياسة جده لويس التاسع، فكانت النتيجة هجوماً شاملاً على الربا وطردهم من

→→→

إيمان على محمد عوض، القديس برنارد كليرفو ودوره الديني والسياسي في غرب أوروبا (١٠٩٠-١١٥٣م)، ص ٣٠٩-٣١٠.

(1) Schwarzfuchs, S.R. The expulsion of the Jews from France (1306), p.484-485.

(2) Schwarzfuchs, S.R. The expulsion of the Jews from France (1306), pp 485-489.

فرنسا ^(١).

من ناحية أخرى أشار ستيفان ميشولان Stephane Mechoulan أستاذ العلوم السياسية والاقتصاد إلى أن طرد اليهود تم لعدة أسباب، أهمها حاجة الملك للمال خاصة مع معاناة فرنسا من أزمة نقدية حادة، بسبب انخفاض قيمة العملة "الجروس التورني Gros Tournois" التي أصدرها لويس التاسع إلى الثلث ^(٢)، بالإضافة إلى حروبه ضد الفلمنكيين طمعاً في إقليم الفلاندرز ^(٣).

لذلك استهدف ممتلكات اليهود لأنهم كانوا هدفاً سهلاً نظراً لوضعهم الاجتماعي الهش في هذه الفترة، ويضيف ميشولان أن اليهود لم يعودوا ذوي أهمية للنظام المالي الفرنسي، وأن طردهم لم يصبح ممكناً إلا عندما استطاع البلاط الملكي

(1) See: Stow, K.R., Papel and Royal attitudes toward Jewish Lending, pp. 165-183. Brackett, A., Jews in Thirteenth Century England, P. 7.

(٢) أصدر الملك لويس التاسع عام ١٢٦٦م عملة جديدة تسمى الجروس Gros الفضي التوري، كان الجروس يساوي اثنتا عشر ديناراً، وقطره خمسة وعشرون ميلليمتراً، أما وزنه فكان أربعة جرامات وثلاثة من المائة، أي: ما يعادل أربعة أضعاف الدينار التوري، نقش عليه من الأمام اسم الملك مع بعض الرموز مثل الصليبان الصغيرة، وعلى ظهره نقش اسم المدينة التي سكنت بها هذه العملة وهي مدينة تور، وظل معمول به حتى عهد الملك فيليب الخامس (١٣١٦-١٣٢٢م)، عن ذلك انظر، محمود سعيد عمران، النقود في العصور الوسطى، ص ٨٨-٩٠.

(٣) في ظل هذه الأزمة المالية ١٣٠٢-١٣٠٥م التي كان يعاني منها الملك فيليب، خسر معركة كورتراي Kourtrai ضد الفلمنكيين عام ١٣٠٢م، لكنه حقق انتصاراً لاحقاً في معركة "مون أون بيفيل" Moons-en-pevele عام ١٣٠٤م، وفي عام ١٣٠٥م وقع معاهدة "أثيس سور أورج" Athis Sur Orge، وكان من المفترض بموجب هذه المعاهدة أن يحصل على مبالغ مالية كبيرة من الفلمنكيين، ولكن هذه الأموال لم تصل إليه كما كان متوقع، ولذلك كان على الملك أن يحصل على مصادر تمويل بديلة لإعادة تحسين قيمة العملة.

Mechoulan, S. The Expulsion of Jews From France in 1306: A modern Fiscal analysis, Department of Economics, university of Toronto, 2004, PP. 8 -9.

استبدالهم كممولين، وبحلول عام ١٣٠٦م تم الاستعاضة عنهم بالفعل بمصرفيين إيطاليين، مثل: بيشي وموشي (Bishe et Mouche) أي: ألبيتسو غيدي Albizzo Guidi وموشياتو غيدي Mosciatto Guidi، يُضاف إلى ذلك حظر ممارسة الربا اليهودي، الذي ظل ساريًا منذ عهد القديس لويس وخاصة في الأعوام ١٢٩٩ و ١٣٠٣م، ومحاربة السلطات الفرنسية التلاعب بالعقود والبيع بالتقسيط الذي استُخدم كوسيلة لتمرير الفائدة، مما زاد من هشاشة البيئة التجارية بالنسبة لليهود، ونتيجة لذلك أصبحت قدرتهم على دفع الضرائب محدودة، كل هذه العوامل مجتمعة ساهمت في قرار الطرد^(١).

وحتى إن لم تكن الدوافع الدينية هي السبب الرئيس في الطرد، إلا أنها كانت حاضرة في الخلفية، ومن هذه الدوافع اتهام اليهود بتدنيس القربان المقدس قبل سنوات، واستخدام أقوال القديس أوغسطين مثل "لا تقتلوا اليهود بل شنتوهم" لتبرير قرار الطرد، ومع ذلك فمن المهم الإشارة إلى أن الكنيسة رغم خطابها العدائي ضد الربا لم تكن داعمة رسميًا لطردهم اليهود، ولم تُصدر أي تعليمات مباشرة تطلب نفيهم، واختتم حديثه بأن أسباب الطرد تكمن في أن فيليب الوسيم، المتأثر بالقديس لويس كان يعتبر نفسه حامي الدين، وقد يكون قرار الطرد بالنسبة له وسيلة رمزية لتعزيز شرعيته الدينية بعد نزاعه مع الكرسي البابوي^(٢).

وتؤكد كل من عالمة الاجتماع كارين باركي Barkey والمؤرخ إيرزا كاتزنلسون Ira Katznelson، أن طرد اليهود من إنجلترا وفرنسا كان قرارًا سياسيًا استراتيجيًا يهدف إلى بناء الدولة الحديثة وتأسيس أنظمة ضريبية جديدة، ويرى العالم أن التعصب الديني لم يكن الدافع الأساسي للطرد، ويعتبر المؤلفان أن معركة بوفين عام ١٢١٤م كانت نقطة تحول حاسمة في سياسة البلدين، ففي إنجلترا

(1) Michallon, S., *The Expulsion of Jews From France in 1306*, PP10-14.

(2) Michallon, S., *The Expulsion of Jews From France in 1306*, PP10-14.

أدى صعود البرلمان إلى منح قوة سياسية للفرسان وملاك الأراضي الثققلين بالديون لليهود، مما جعل الطرد صفقة رابحة: فوافق الملك على طرد اليهود مقابل الحصول على نظام ضريبي جديد وشامل، يعتمد على فرض ضرائب على الممتلكات المنقولة لجميع رعاياه القادرين على الدفع، مثل المحاصيل الزراعية والماشية والبضائع التجارية والأموال النقدية والثروات.

أما في فرنسا فقد أدى الانتصار في المعركة إلى تعزيز سلطة الملك بشكل مطلق، ونتيجة لذلك شرع الملك فيليب الرابع في بناء دولة مركزية قوية تتطلب نظاماً مالياً جديداً ومستداماً، وبعد نجاحه في فرض ضرائب مباشرة على رعاياه والكنيسة، انتفت حاجته الاقتصادية لليهود، وقد عجلت هزيمته العسكرية في كورتراي عام ١٣٠٢م باتخاذ القرار النهائي بطرد اليهود، ليمنح رعاياه المنهكين من الضرائب فترة راحة ويتجنب التمرد، معززاً بذلك شرعيته السياسية وسلطته المطلقة^(١).

ويرى ويليام تشيستر جوردان أن الملك الفرنسي قرر طرد اليهود بهدف مصادرة ممتلكاتهم والاستيلاء على سجلات الديون لتحصيلها حتى وإن كانت بدون فوائد، وقدّر جوردان مكاسب الملك فيليب من هذه العملية بمليون جروس توري^(٢)، وأضاف أن الملك كان حريصاً على منع أي أعمال عنف شعبية أو انتقام جماهيري ضد اليهود، مشيراً إلى أنه لا يعلم ما إذا كان هذا بدافع أخلاقي أم لا، لكن المؤكد أن العديد من المسيحيين كانوا يرغبون في تصفية حساباتهم الشخصية مع اليهود عن طريق حرق سجلات الديون أو قتلهم، واختتم جوردان كلامه قائلاً إن الملك فيليب وحكومته شعروا بالرضا والإنجاز بعد طرد اليهود، وأصبحت المملكة أكثر نقاءً

(1)Barkey,K.,&Katznelson,I.,States,Regimes,and decisions: Why Jews Were expelled fromMedieval England and France,pp.495-497.

(2)Jordan ,W.C., Administering expulsion in 1306.In French Monarchy and the Jews, pp.243-250.

ومسيحية في نظره، وكما يرى فإن الملك فيليب الرابع الذي أطلق على نفسه لقب "الملك المسيحي الأكثر تديناً"، أراد أن يتماشى هذا اللقب مع رمز المملكة زهرة الزنبق الذهبية Fleur-de-Lys^(١).

كما أوضحت المؤرخة سيلين بالاس Celine Balasse أن طرد اليهود من فرنسا كان قراراً سياسياً لمصلحة الملك، مشيرةً إلى أن "أحد أهم أسباب الطرد هو رغبة الملك فيليب الرابع المستمرة في تقوية سلطته وفرض سيطرته على النبلاء، وكان الطرد وسيلة لإظهار قوة التاج وقدرته على اتخاذ قرارات حاسمة على مستوى المملكة بأكملها"^(٢).

وبتحليل آراء المؤرخين حول أسباب طرد الملك فيليب لليهود مع مقارنة ذلك بما سبق عرضه من أحداث، يتضح أن طرد اليهود من فرنسا عام ١٣٠٦م كانت له أسباب متعددة ارتبطت بمشكلة الربا اليهودي، منها:

١- حاجة الملك الشديدة للمال لإصلاح قيمة العملة المتضررة وهذا ما أجمع عليه معظم المؤرخين، ويُستدل على ذلك بتخلّصه من جماعة فرسان الهيكل في العام التالي للطرد بسبب كثرة ديونه لهم.

٢- خوفه من تمرد رعاياه إذا فرض ضريبة جديدة بعد هزيمته في معركة كورتراي، خاصةً أنه كان على علم بغرقهم في الديون المستحقة لليهود.

٣- العداء الشعبي لليهود بسبب الربا، ويتأكد هذا مما ذكره المؤرخ ويليام تشيستر جوردان من أن الديون المدونة في السجلات اليهودية بلغت قيمتها مليون جروس توري، وأن الملك منع أي أعمال عنف ضد اليهود، مؤكداً على أنه كانت

(1) Jordan, W.C, Administering expulsion in 1306. In French Monarchy and the Jews, pp.243-250.

(2) Romsics, A.C., The dissolution of the Templar order and the expulsion of the Jews, pp.36-37.

هناك رغبة في حرق سجلات الديون والتخلص من اليهود.

٤- دعوة الكنيسة إلى منع اليهود من أخذ أي فائدة على القروض بعد ارتفاع أسعار الفائدة على القروض بصورة مبالغ فيها.

٥- رغبة الملك في التخلص من الربا اليهودي، كما ذكر المؤرخ كينيث آر. ستو أن الملوك الفرنسيين هددوا اليهود بالطرد بلهجة شديدة حتى لا يسمحوا لهم بإصابة أرضهم بسموم الربا^(١).

٦- وجود الصيارفة الإيطاليين في فرنسا، مما جعل الاستغناء عن اليهود ممكناً.

٧- ويتضح مما سبق أيضاً أن العداء الديني لم يكن السبب الرئيس في طرد اليهود من فرنسا، بل حاجة الملك للمال وغرق الشعب في الديون المستحقة لليهود كانا من أهم أسباب طرد الملك الفرنسي لهم في عام ١٣٠٦م.

٤- موقف الكنيسة الغربية من المعاملات الربوية لليهود وأثره في الطرد:

مع نمو الاقتصاد الأوروبي وازدياد الطلب على القروض في القرن الثاني عشر الميلادي، سعت الكنيسة إلى إلزام المسيحيين بالامتناع عن ممارسة الربا، نظراً لتحريمه عليهم، وعُقدت عدة مجامع كنسية، منها مجمع اللاتيران الثاني The Second Lateran Council الذي انعقد عام ١١٣٩م في عهد البابا أنوسنت الثاني Innocent II (١١٣٠-١١٤٣م)^(٢)، وفي هذا المجمع أُدين الربا واعتُبر

(1) Stow, K.R., *Papel and Royal attitudes toward Jewish Lending*, pp.165-182
Brackett, A., *Jews in Thirteenth Century England*, P.183.

(٢) أنوسنت الثاني: هو جريجوري بابا رشيا Gergory paparshi، ولد في مدينة روما، وينتمي إلى أسرة عريقة، كان والده يحمل اسم يوحنا John، كان أحد رجال القانون الكنسي في اللاتيران، وأصبح رئيساً لدير القديس نيكولا وبريميتفيوس Nichols and Primitvus ثم كاردينالاً وشماساً

خطيئة كبرى لمخالفته الكتاب المقدس والقوانين الكنسية، وُصِف بأنه عمل بغيض ومثير للاشمئزاز، ومرادف للجشع الذي لا ينتهي لدى المرابين الذين وُصفوا بأنهم ذوو سمعة سيئة.

وأصدر البابا عدة قرارات ضد المرابين، منها: عقوبة الحرمان الكنسي والطرده من الكنيسة ما لم يتوبوا ويعيدوا مكاسبهم " المسروقة أو غير المشروعة" إلى أصحابها، بالإضافة إلى عدم دفنهم في مدافن المسيحيين إذا ماتوا على هذه الخطيئة ولم يتوبوا^(١).

ولكن من الواضح أن قرارات هذا المجمع لم تُنفذ، ويتضح ذلك من الخطاب الذي ألقاه رجل الدين بيتر المرتل Petrus Chanter أمام الكنيسة في عام ١٩٠١م، إذ وجه اللوم والنقد للأمرء والأساقفة الذين أبقوا على المرابين في المحاكم كقضاة وفي الكاتدرائيات كرجال دين، وسمحوا لهم بتعيين أبنائهم في المناصب الكنسية مستخدمين الأموال التي كسبوها من الربا كرشاوى، وتحسر قائلاً " فالأمرء يوفرون لهم الحماية ولا يسمحون باتهامهم بأي جريمة قائلين: "هؤلاء هم يهودنا"، ولكنهم على العكس فهم أسوأ من اليهود، لأن اليهودي لا يُقرض أخاه بل يُقرض الغريب فهو بذلك لم يخالف عقيدته بينما هؤلاء خالفوا قوانين الكنيسة^(٢).

→→→

كنيسة سانت أنجلو St.Anglo، اعتلى عرش البابوية في ١٤ فبراير ١٣٠١م، وتوفي في ٢٤ سبتمبر ١٤٤٣م. للمزيد من التفاصيل انظر:

Francis, M., Innocent II Papae, The Catholic Encyclopedia, Tom III, London, 1912, PP.12-13.

(1) kirschenbaum,A., Jewish and Christian Theories of Usury in the Middle Ages, The Jewish Quarterly Review 75(3) , university of Pennsylvania, 1985,p.272, Adamo,S.,Alexander ,D.&Fasiello,R., Usuy and Credit Practices, p,14, Gilchrist,J., The Church and Economic Activity ,pp.182,183, Langholm,O., The Legacy of Scholasticism in Economic Thought , Cambridge, 1998, p.59.

(2)Peter the Chanter, Verbum adbreuiatum textus conflatus, ed. Monique Boutry, CCCM 196(Turnhout: Brepols, 2004),pp. 325– 26.

ولذلك، سعت الكنيسة إلى القضاء على الفساد المستشري في الهيئات الكنسية والقضائية وفي المجتمع ككل، من خلال عقد مجمع ديني آخر بهدف حظر ممارسة الربا بين المسيحيين، وقد تقرر في هذا المجمع فرض عقوبات أشد صرامة أضيفت إلى قرارات المجمع السابق، وبالفعل انعقد مجمع اللاتيران الثالث Latiran Council of III عام ١١٧٩م، وفيه أدان البابا ألكسندر الثالث Alexander III (١١٥٩-١١٨١م) المرابين^(١).

وأصدر المجمع مرسومًا نص على ما يلي: " نظرًا لتفشي جريمة الربا في معظم الأماكن، حتى أن الكثيرين أهملوا الأعمال الأخرى لممارسة الربا وكأنه حلال، غير عابئين بتحريمه في العهدين القديم والجديد، فإننا نقرر عدم قبول هؤلاء المرابين في شركة المذبح (العشاء الرباني)، ولا تقام لهم جنازة مسيحية إذا ماتوا وهم يُمارسون هذه الخطيئة، ولا يحق لأحد قبول تبرعاتهم، ومن قبلها وأقام لهم جنازة مسيحية فعليه أن يرد ما قبله ويمنع من ممارسة وظيفته إلى أن ينفذ ما يقره رئيس أساقفته"^(٢).

ولا شك في أن هذه القرارات قد جاءت في صالح اليهود لأنها اختصت بالمسيحيين، ومن الملاحظ أن أسعار الفائدة على القروض خلال هذه الفترة ارتفعت بشكل كبير جدًا وغير معقول.

وهذا ما جاء على لسان البابا أنوسنت الثالث في مجمع اللاتيران الرابع Fourth Lateran Council الذي عقد في عام ١٢١٥م وحضره ١٥٠٠ أسقف من جميع أنحاء العالم المسيحي^(٣)، فتحدث قائلًا: " لاحظنا أنه كلما قُيدت الممارسات

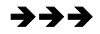
(1) Adamo, S., Alexander, D. & Fasiello, R., Usury and Credit Practices, p.14.

(٢) زينب عبد المجيد، يهود إنجلترا في العصور الوسطى، ص ٤٠.

(٣) كان البابا أنوسنت الثالث أول من تناول مسألة الربا واليهود بشكل مباشر في عام ١١٩٨، في رسالة شهيرة موجهة إلى رئيس أساقفة ناربون (Narbonne) أعلن البابا " أنه لا يجوز أخذ أي

الربوبية للمسيحيين، ازداد اليهود غدرًا في هذه الممارسات، حتى أنهم في وقت قصير استنزفوا القوة المالية للمسيحيين، ورغبةً منا في حماية المسيحيين من الوقوع فريسة للاضطهاد الوحشي من قبل اليهود في هذا الشأن، فإننا نأمر بموجب هذا المرسوم المجمعي بأنه إذا ابتز اليهود المسيحيين في المستقبل تحت أي ذريعة، وفرضوا عليهم فائدة جائرة ومفرطة، فيجب منعهم من التعامل مع المسيحيين حتى يقدموا تعويضًا كافيًا عن هذا الربا المفرط، كما يجب على المسيحيين إذا لزم الأمر وبموجب الرقابة الكنسية الامتناع عن التجارة معهم، ونحن نأمر الأمراء بالألّا يعادوا المسيحيين بسبب هذا بل أن يحرصوا على كبح جماح اليهود عن هذا الاضطهاد العظيم^(١)، كما أصدر هذا المجمع قرارًا بضرورة ارتداء اليهود شارة التابولا Tabula وعدم الظهور في الأماكن العامة خلال الصوم الكبير^(٢).

وتجدر الإشارة إلى أن قرارات هذا المجمع جاءت مفاجئة؛ فمن المتوقع أن يصدر البابا قرارًا بحظر الربا اليهودي، لكنه لم يفعل بل قسّم الربا إلى نوعين: الأول



ربا من الصليبيين، وأي مبالغ تم تحصيلها منهم يجب أن ترد، وأكد أنه على رجال الدين ممارسة الضغط على المقرضين المسيحيين للامتثال لهذا المرسوم، بينما كان على الأمراء بصفتهم قوى مساعدة في خدمة الكرسي الرسولي ضمان امتثال اليهود، وفي مجمع اللاتيران أصدر قرارًا آخر بتأجيل سداد الصليبيون ديونهم لحين عودتهم إلى أراضيهم.

See, Patrologia latina Innocentii III Regesta(ed.),Migne,Tomus quartus, Paris,1855,p.271 , Stow,K.R.,Papal and Royal attitudes toward Jewish Lending ,p.162, Brackett,A., Jews in Thirteenth Century England,P.7.

(1) Burke,J.,Money For Nothing:The Sin of Usury (Working Paper No.0801),Department of Economic,Ava Maria University,2008,p.12.

(٢) شارة التابولا: هي شارة مميزة كان يفرض على اليهود ارتداؤها في ملابسهم، بهدف التمييز الاجتماعي والفصل بينهم وبين المسيحيين، وكانت عبارة عن شرائط من القماش باللون الأصفر تُخاط على الصدر أو الكتف بشكل لوحى الوصايا العشر.

Brackett,A., Jews in Thirteenth Century England,pp.7-8.

هو "الربا المفرط الفاحش"، والثاني هو "الربا المعتدل"، حرم النوع الأول وسمح ضمناً بالتعامل بالنوع الثاني، ولكنه هدد اليهود بلهجة شديدة إذا لم يكفوا عن أخذ الربا المفرط، سيتم إلزامهم برده، وسيأمر المسيحيين بقطع العلاقات التجارية معهم، وأمر الأمراء أن يمنعوا اليهود من أخذ الربا الجائر من المسيحيين.

كما أرسل البابا رسالة إلى ملك فرنسا فيليب الثاني أغسطس في السادس عشر من يناير سنة ١٢١٥م، يخبره فيها بأنه قد وصلت أخبار تفيد بأن اليهود في مملكته يتعاملون بالربا، ويخصصون سلعاً وأملاكاً كنسية لهذا الغرض، وأنهم يغالون في أخذ الربا أضعافاً مضاعفة، وفي نهاية الرسالة طلب البابا من ملك فرنسا منع اليهود من التعامل بالربا المفرط (Immoderate Usury) ^(١).

وبعد وفاة البابا أنوسنت الثالث سار خلفائه على نفس النهج وطالبوا اليهود بأخذ الربا المعتدل فقط، ففي مجمع ناربون المنعقد عام ١٢٢٧م Narbonne Council of، ومجمع أراغون عام ١٢٢٨م Council of Aragon، ومرة أخرى في مجمع بيزييه الأول Bezier Council of عام ١٢٤٦م، أكدت هذه المجالس على قبول الفائدة المعتدلة، مثلما جاء في نص قرار مجمع ناربون "نظرًا لأن اليهود يضطهدون المسيحيين بشدة من خلال جباية الربا، وبما أن الربا محرم عالمياً، فقد أمرنا في المجلس ألا يحصل اليهود على ربا مفرط" ^(٢).

يتضح من ذلك أن موقف البابوية من الربا اليهودي لم يكن متشدداً في البداية، لإدراكها بأنه أصبح واقعاً تفرضه الظروف والحاجة الاقتصادية، لذا لم تدعُ إلى حظر الربا بل طالبت اليهود بأخذ ربا معتدل وعدم استغلال المسيحيين، ومع عدم التزام اليهود بذلك تغير موقف الكنيسة بالدعوة إلى حظر ممارسة اليهود للربا.

(١) ياسر كامل محمود، البايوية ويهود غرب أوروبا عصر الحروب الصليبية، ص ٢٣٧-٢٣٨

(2) Stow, K.R., *Papel and Royal attitudes toward Jewish Lending* p.165.

ففي مجمع ألبي Albi الذي عُقد في جنوب فرنسا عام ١٢٥٤م نصت قرارته على "وجوب منع اليهود من جباية الربا وفقاً لقانون الرب، وأنه لا يجوز لأي قاضٍ كنسي أو علماني إجبار المسيحيين على دفع أي ربا لليهود أو لغيرهم"، ولا بد وأن نشير إلى أن هذه القرارات سُنت سابقاً في مجمع أفينون Council of Avignon الذي عُقد عام ١٢٠٩م.

وفي العام التالي عُقد مجمع بيزيه الثاني عام ١٢٥٥م، وفيه تمت الموافقة على قوانين أمرت اليهود بالكف عن الربا والتجديف والسحر، وتم تحذير المسؤولين ليكونوا على حذر لئلا يحصل اليهود على أي ربا^(١)، وفي عام ١٢٧٤م عقد مجمع آخر وهو مجمع ليون Council of Lyons II صدر فيه قرارٌ بعدم التعامل مع المرابين أو مساعدتهم لعدم التعرض لعقوبة الحرمان الكنسي بسبب ارتفاع فوائد القروض^(٢).

ويتضح من ذلك أن الكنيسة الغربية كان لها دورٌ فعالٌ في التأثير على الملوك لإصدار قرارات حظر الربا اليهودي في فرنسا وإنجلترا. وتجدر الإشارة إلى أن إدانة الربا في القرن الثالث عشر الميلادي لم تقتصر على البابوية وحدها، بل شاركتها بعض الهيئات الديرية كالفرنسيسكان والدومنيكان^(٣)، ومن أبرز من أدان الربا المفكر واللاهوتي الدومنيكاني توما الأكويني

(1)Stow,K.R.,*Papel and Royal attitudes toward Jewish Lending* pp.175-176.

(2)Mundill,R., *The King's Jews* ,pp.131-132.

(٣) جماعة الرهبان الفرنسيسكان: تم تأسيسها علي يد القديس فرنسيس الأسيزي في الفترة من ١٢٠٦ إلى ١٢١٠م، أما جماعة الرهبان الدومنيكان فأسسها الواعظ والراهب الدومنيكاني سانت دومينيك St. Dominic في عام ١٢١٦م وهو العام التالي لمجمع اللاتيران الرابع، ومن بين الاثنين كان الدومنيكان أكثر عداءً للربا والمرابين في القرن الثالث عشر.

Munro, J.,*The Usury Doctrine and Urban Public Finances* , p.7, Cf,Daniel Bornstein, 'Law, Religion, and Economics: Jewish Moneylenders in Christian Cortona', in

Thomas Aquinas (١٢٢٥-١٢٧٤م) ^(١)، الذي تبني نظرية أرسطو Aristotle المتعلقة بعقم المال Sterility of money والتي تنص على " أن المال في النظام الطبيعي له وظيفة واحدة فقط فهو وسيلة للتبادل في عملية البيع والشراء، لذلك فهو لا يتكاثر ولا يزيد، وبناءً عليه فالربا خطيئة ضد القانون الطبيعي " ^(٢).

كما كان للربان المتجولين دورٌ مؤثّرٌ في هذه الحملات الموجهة ضد الربا لأنهم شرحوا للعامة القيود الصارمة الصادرة من مجمع اللاتيران الرابع ضد الربا والمرابين بصفة عامة، وقصوا علي الناس قصص مروعة عن مصير هؤلاء المرابين ^(٣)، وأنهم في نيران جهنم الأبدية، وبالتالي نجحوا في اقناع الجمهور بأن المرابين من أسوء فاعلي الشر، ويذكر أيضا أن هؤلاء الرهبان نجحوا بجاذبيتهم في



Marino, J. and Thomas Kuehn, eds., *A Renaissance of Conflicts: Visions and Revisions of Law and Society in Italy and Spain, Centre for Reformation and Renaissance Studies, Essays and Studies vol. 3 (Toronto, 2003), pp. 241-256.*

^(١) توما الإكويني: من أهم فلاسفة العصور الوسطى ولا يزال تأثيره عظيماً في الكنيسة الكاثوليكية وفي الفكر المسيحي بصفة عامة إلى الآن ، ولد بقصر روكاسكا Roccasecca بالقرب من آكوين بإقليم نابولي Napoli الإيطالي عام ١٢٢٥م، بدأ دراسته في دير مونت كاسينو Monte Cassino الشهير وتابعها في جامعة نابلي التي أنشأها الإمبراطور فريديريك الثاني في سنة ١٢٢٤م ، درس الفنون السبعة الحرة وعلم المنطق ، والعلم الطبيعي استناداً إلى كتب أرسطو التي ترجمت من العربية إلى اللاتينية في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي، ثم سافر إلى باريس وحصل على درجة الدكتوراة في اللاهوت ، وفي عام ١٢٥٧م عين أستاذاً في هذه الجامعة، للمزيد عنه انظر: عبدالرحمن بدوي ، موسوعة الفلسفة ، ج ١ ، ط ١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٤ ، ص ٢٤٧-٢٤٨.

وللمزيد عنه انظر:

- (2) Aquinas, T, *Commentum in quatuor Libros Sententiarum* , (n.d) , (III:37:1:6) in Noonan, John T. Jr. *The Scholastic Analysis of Usury*, Cambridge, 1957, p. 52, Aquinas, T. *Summa Theologica*, Trans. by. Fathers of English Dominican, London, 1918, 330-340, Cf. Kirschenbaum, A., *Jewish and Christian Theories of Usury*, p. 272, Langholm, O. , *The Legacy of Scholasticism in Economic Thought* , p. 59.
- (3) John H. Munro, *The Usury Doctrine and Urban Public Finances*, pp. 6-7.

إقناع الحكومات العلمانية بواجبهم الذي قرره الله بفرض حظر الربا.^(١)
يتضح مما سبق أن الكنيسة الغربية لم تدعُ إلى طرد اليهود من أي دولة، بل ركزت دعوتها على منعهم من ممارسة الربا، خاصة بعد تزايد أسعار الفائدة على القروض بشكل مبالغ فيه، ومع ذلك، فلا شك في أن هذه الدعوات المتكررة ضد "الربا اليهودي" شجعت الملوك على اتخاذ قرار طرد اليهود من إنجلترا وفرنسا.

(1) CF.also: Jacques Le Goff, 'The Usurer and Purgatory', in Center for Medieval and Renaissance Studies, UCLA, ed., *The Dawn of Modern Banking* (New Haven, 1979), pp. 29-34, See, Canto XVII of *Inferno*, in Dante Alighieri, *The Divine Comedy*, Carlyle-Okey-Wicksteed translation, ed. C.H. Grandagent (New York: Modern Library Editions, 1950), p. 93.

الخاتمة:

من خلال دراستنا لهذا الموضوع اتضح لنا ما يلي:

١- استند الملوك اليهود لممالكهم للعمل في التجارة، وتلبية حاجتهم من السلع النفيسة غير المتوفرة لديهم، ونجح اليهود في التجارة وبخاصة التجارة طويلة المدى، وكونوا ثروات هائلة مكنتهم من العمل في الربا " الإقراض بفائدة " بعد اقصائهم من النشاط التجاري في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي.

٢- كان نمو الاقتصاد الغربي - بداية من القرن الثاني عشر الميلادي - وتزايد حاجة المجتمع للنقد المالي، سببًا في اقتراض الملوك والفرسان، والكنيسة والتجار وحتى العامة من اليهود، لأنهم لم يكونوا ملزمين باتباع التعاليم المسيحية التي تحرم الربا بين المسيحيين، ثم فرض عليهم الملوك وحكام المقاطعات الضرائب مقابل حمايتهم، ومنحوهم الامتيازات التي تيسر أعمالهم، فأصبحوا مصدرًا أساسيًا للخزانة - الإوزة التي تبيض الذهب للملوك - على حد وصف المؤرخين.

٣- تبين ارتفاع أسعار الفائدة على الديون في إنجلترا وفرنسا بشكل مبالغ فيه، حيث وصلت إلى ١٥٠% وأكثر، مما أدى إلى تزايد العداء الشعبي تجاه اليهود في البلدين ونتج عن ذلك العديد من أعمال العنف ضدهم، خاصة في إنجلترا بهدف التخلص من سجلات الديون وحرقها.

٤- تغاضي الملوك عن الشكاوى من ارتفاع أسعار الفائدة وتذمر الناس من الربا؛ وذلك لأن العلاقة بينهم وبين اليهود كانت نفعية قائمة على جمع اليهود للأموال وتحصيل الملوك للضرائب، بالإضافة إلى إقراض اليهود المال للفرسان للمشاركة في الحملات الصليبية.

٥ - شهد النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي تغيرًا في الموقف تجاه المعاملات الربوية لليهود، ويتضح ذلك في إصدار الملك لويس التاسع مرسومًا بحظر ممارسة اليهود للربا في فرنسا عام ١٢٥٤م، وكذلك في المرسوم الذي أصدره الملك الإنجليزي هنري الثالث بحظرهن الأراضي الزراعية عام ١٢٦٩م.

٦- اتضح من الدراسة أن طرد اليهود من إنجلترا وفرنسا جاء نتيجة لأسباب سياسية واقتصادية واجتماعية، تمحورت بشكل أساسي حول معاملاتهم الربوية، وبالرغم من وجود العداء الديني لليهود إلا أنه لم يكن السبب الحقيقي لطردهم من البلدين.

٧- اعتمد الملوك اعتمادًا كليًا - بعد الاستغناء عن اليهود- على الضرائب التي فرضت على رعاياهم، وعلى الصيارفة والتجار المسيحيين وبخاصة الإيطاليين، الذين تواجدوا فعليًا قبل طرد اليهود، وقدموا للملوك خدماتهم المالية المتعددة والتي حازت على إعجابهم.

ملاحق الدراسة:

(الشكل رقم ١)

صورة لعقد دين بين يهودي ومسيحي، وفي أسفل الصورة وصل مختوم بالسداد

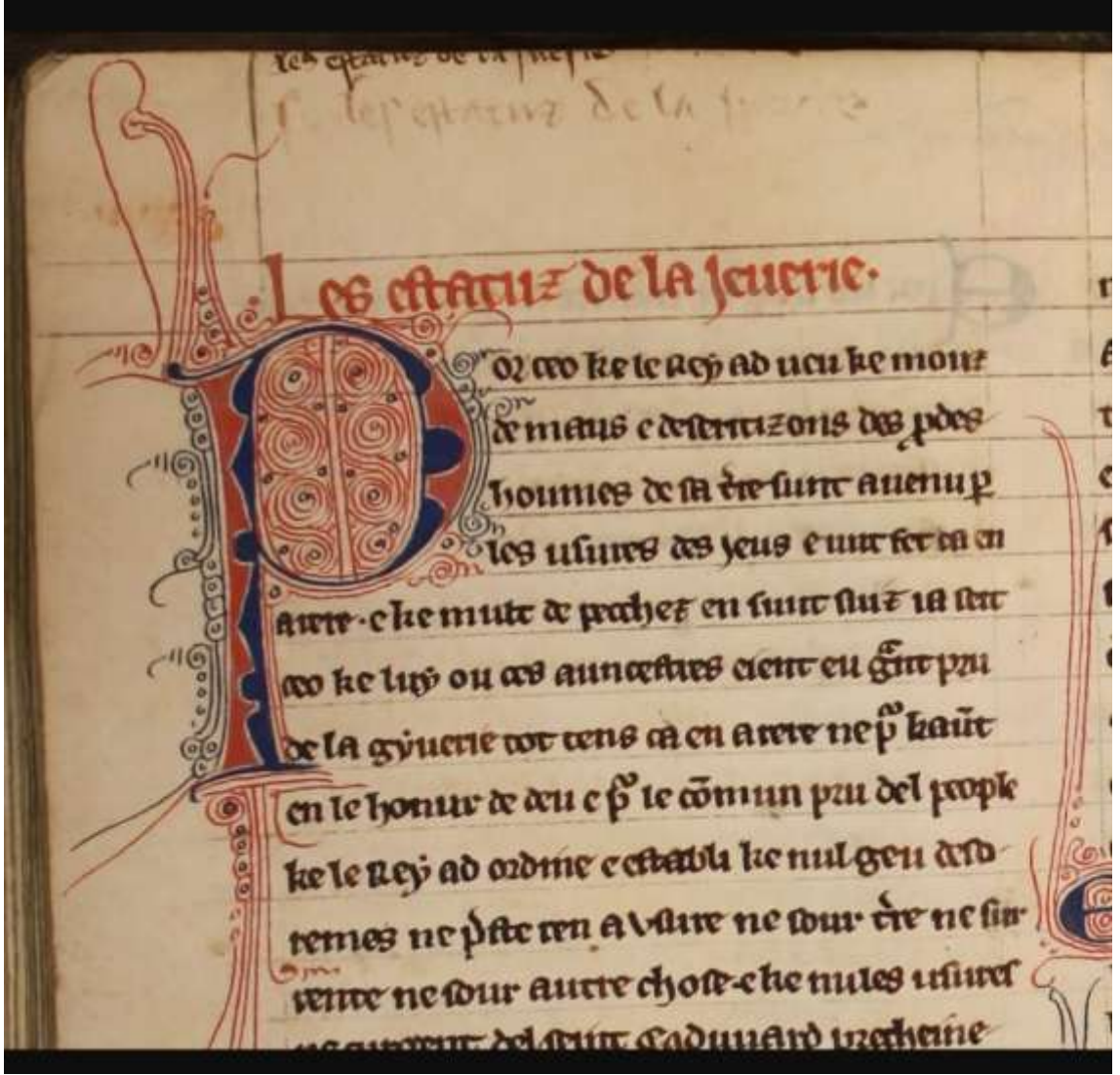


نقلا عن

<https://blogs.bl.uk/a/6a00d8341c464853ef0264e2ea5840200d-pi>

(الشكل رقم ٢)

قانون اليهودية الذي أصدره إدوارد الأول عام ١٢٧٥م

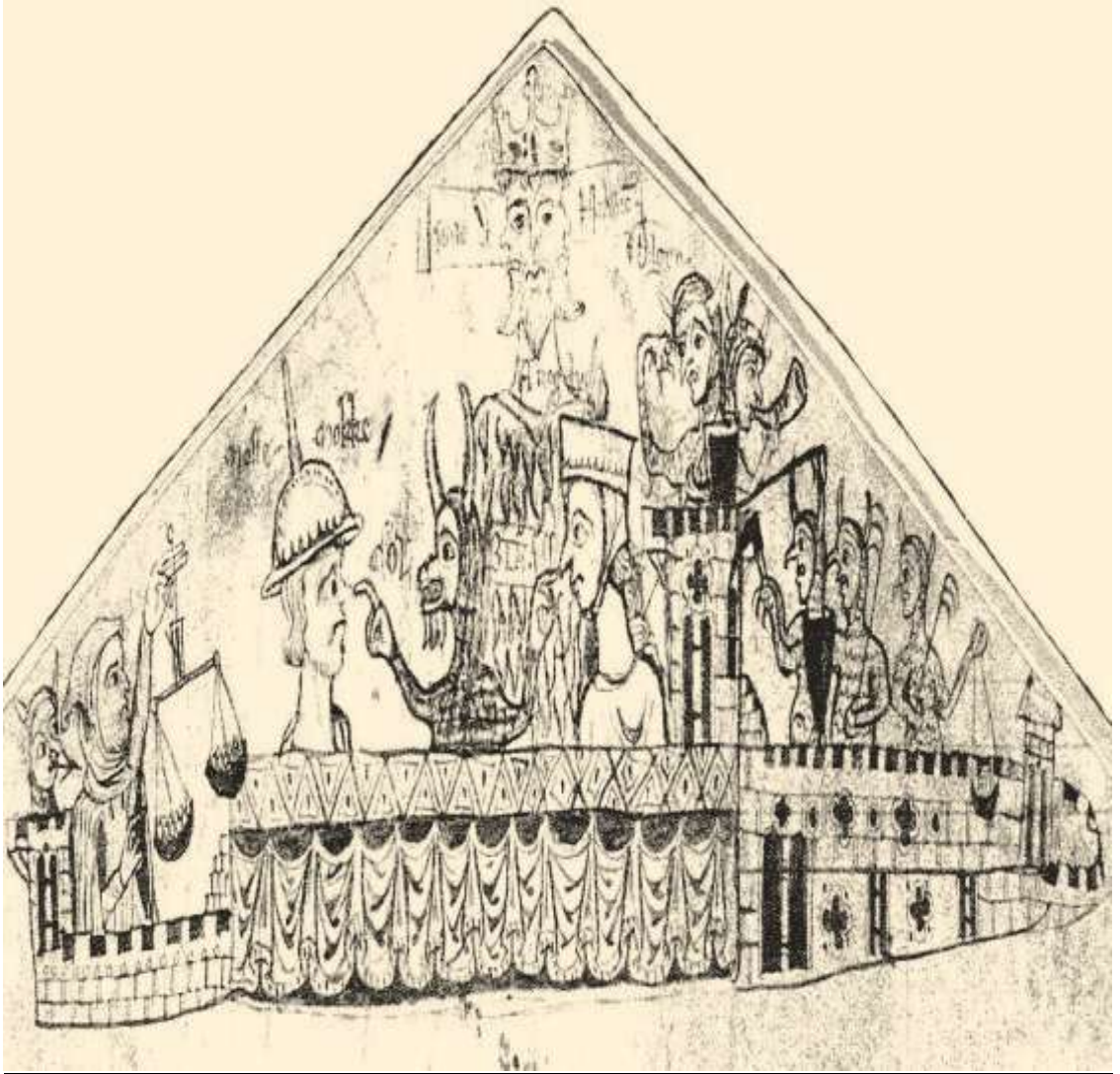


نقلا عن

<https://www.nationalarchives.gov.uk/education/resources/jews-in-england-1290/?utm>.

(الشكل رقم ٣)

صورة لرسم إنجليزي في القرن الثالث عشر صور فيها المرابين اليهود بأنهم شياطين.



نقلا عن الارشيف الوطني البريطاني

<https://www.nationalarchives.gov.uk/education/resources/jews-in-england-1216-72/source-three-satirical-illustration/>

(الشكل رقم ٤)

صورة للمرابين اليهود في فرنسا عام ١٢٧٠



نقلا عن

<https://upload.wikimedia.org/wikipedia/commons/1/1b/Medieval-Jewish-moneylenders.jpg>

قائمة المصادر والمرجع الأجنبية والعربية:

١ - القرآن الكريم.

٢ - الكتاب المقدس " العهد القديم – العهد الجديد".

٣ - المصادر الأجنبية:

Abelard ,P., Historia Calamitatum , Trans by. Bellows , A. H. , New York , 1922.

....., Ouvres Choiesies , éd. Gandillac de , M. Paris , 1945.

.....,Collationes, ed. and trans. John Marenbon and Giovanni Orlandi (Oxford: Clarendon Press, 2001).

Ambrose, De Tobia,in Sancti Ambrosii Mediolanensis Opera omnia , Pars prima , ed. P.A. Ballerini , Patrologia Latina , vol. 14 , Milan,1875.

Annales Londonienses Chronicles of Rigns of Edward I&Edward II,Vol.1,(ed) Stubbs,W. In (R.S),London,1881.

Annals of Burton, ed. H. Luard, in Annales 16 {Monastici Rolls}, Vol.I, London,1863.

Aquinas, T.,Commentum in quatuor Libros Sententiarum , (n.d) , (III:37:1:6) inNoonan,JohnT.Jr. The Scholastic Analysis of Usury, Cambridge,1957.

Aquinas,T. Summa Theologica, Trans.by.Fathers of English Dominican, London,1918.

Augustine,on Expositions on Psalms, Patrologia Latina, vol,36, ed.J.P.Migne, 1944.

Bernard of Clairvaux , “Epistola 363,” in Sämtliche Werke: lateinisch/deutsch, ed. Gerhard B. Winkler, Alberich Altermatt, and Denis M. Farkasfalvy, 10 vols. (Innsbruck: Tyrolia, 1990-1999), Vol.3.

Canto XVII of Inferno, in Dante Alighieri, The Divine Comedy, Carlyle-Okey-Wicksteed translation, ed. C.H. Grandagent (New York: Modern Library Editions, 1950).

Charles ,S., The Classical Latin Quotations in Letters of St.Ambrose , Greece&Rome,Second Series, Vol.15, Vo.2, (October.1968).

Eusebe de Lauriere(eds): Ordonnances des roys de France de la troisième race, recueillies par ordre chronologique.I (Paris de L'mprimerie Royale 1723).

Geoffry de Van Sauf , History of Expedition of Richard to the Holy land , London,1448.

Guillaume Le Borton, *Oeuvres de Rigord, The deeds of Philip Augustus, an English Translation of Gesta Pilippi Augusti*, Trans.by Field, L., edited by Gaposchkin, Cornell University press, 2022.

Guillelmus Sugerii, *Historia Gloriosi Regis Ludovici, VII, Filii Ludovici Grossi*, Tome, XII, Paris, 1877.

Holinshed, R., *The First and Second Volumes of the Chronicles*, London, Vol. 6. 1587.

John Glover, M.A., *The chronicles and Memorials Great Britain and Ireland During The Middle Ages*, London, 1865.

Matthew Paris. *Chronica Majora*, ed Luard, H., Vol. 3, Vol. 5, (R.S., London, 1872-83).

Patrologia latina Innocentii III Regesta (ed.), Migne, Tomus quartus, Paris, 1855.

Peter the Chanter, *Verbum adbreuiatum textus conflatus*, ed. Monique Boutry, CCCM 196 (Turnhout: Brepols, 2004).

Peter the venerable, *Writings against the Saracens*, trans. Resnick, I. M., *The Fathers of The Church Mediaeval Continuation, Volume 16*, the catholic university of America press, Washington, 2016.

Petri Venerabilis abbatis Cluniacensis noni opera Omnia, in *Patrologiae Cursus Completus*, henceforth PL, vol. 189, ed. Migne, J. P. Successores, Apud Garnier Fratres, Parisiis, 1890.

Recueil des Historiens de la Gaule et de France, Tom. XX, Imprimerie Nationale, Paris, 1840.

Rigord, *The Deeds of philip Augustus*, Trans, by, Field, L.F., Cornell University, 2022.

See, *The Cronical of Henry of Huntingdon Comprising Henry of Huntingdon, the History of England from the invasion of Julius Caesar to the accession of Henry II*, Trans By, Thomas Fastor, London, 1853.

Speed, J., *The Historie of Great Britain under Conquests of Romans, Saxon, Danes and Normans*, London, 1611.

The Letters of Peter the Venerable, Letter 130 in Giles Constable, Vol 1., ed., Cambridge, and Harvard University Press, 1967.

The Politics of Aristotle, Translated Into English and Edited by Benjamin Jowett, 2 vols., vol. I: Introduction and Translation (Oxford, 1885).

Vergil, p. Anglia *Historia*, (Sutton, D.F., Ed.; Henry III, Paragraph 17), *The philological Museum*, University of Birmingham, (n.d.), Based on the 1555 version.

Willeimi De Novoburgo, *Historia Rerum Angligarum*, (ed.), Howlett, R., *Chronicales of the Reigns of Stephen, Henry II, and Richard I*, Vol, I, London, 1964.

William of Poitiers., the Deeds of William duke of the Norman and Kings of the English, ed by. Douglas, London 1968.

William of Saint Thierry, Arnold of Bonneval, Geoffrey of Auxerre, (Vita Prima Sancti Bernardi Claraevallis Abbatis), The First Life of Bernard Clairvoux, Trans From Latin to English. By, Hilary Costello, Liturgical Press, Collegeville, Minnesota, 2011.

٤- المصادر العربية والمعرّبة:

- أوغسطين، اعترافات القديس أوغسطينوس، ترجمة: الخورى يوحنا الحلو، دار المشرق، لبنان، ١٩٩١ م.
- تاكيتوس، تاكيتوس والشعوب الجرمانية، ترجمة/ إبراهيم علي طرخان، القاهرة، ١٩٥٩.
- ابن حوقل: "أبى القاسم محمد ابن حوقل النصيبى"، صورة الأرض، مطبعة بريل، مدينة ليدن، ١٩٣٨.
- ابن خرداذبة: "أبو القاسم عبيد الله ابن عبد الله ت حوالى ٢٣٦ هـ / ٨٥٠ م"، المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٨٩.
- جوانفيل، القديس لويس "حياته وحملته على مص والشام، ترجمة د/ حسن حبشي، ط ١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٦ م.
- الشهرستانى: "أبى الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستانى ت ٤٧٩ - ٥٤٨ هـ / ١٠٨٦ - ١١٥٣ م"، الملل والنحل، تعليق أحمد فهمى محمد، الجزء الثالث عشر، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٢.
- القلقشندي: "أبى الفتح أحمد القلقشندي ت ٧٥٦ - ٨٢١ هـ / ١٣١٨ - ١٣٥٥"، صبح الأعشى، الجزء الثالث عشر، دار الكتب السلطانية، القاهرة، ١٩١٨.

٥- المراجع الأجنبية:

- Adelson, H.L., *Medieval Commerce*, New York, 1962.
- Ashley, W.J., *Economic History and Theory, Vol.I*, London, 1894.
- Belloc, H., *The Jews*, London, 1922.
- Chazan, R., *Jews of Medieval Western Christendom (1000-1500)*, 2006.
- Dubnov, S., & Spiegel, M., *History of the Jews; From the Roman Empire to the Early Medieval period, vol.III*, London, 1968.

- Duchesne, L., *Les Premiers Temps de L'Etat Pontifical*, Paris, 1911.
- Eisenstadt, S.N., *Jewish Civilization , The Jewish Historical Experince in acomparative perspective*, New York, 1992.
- Francis, M., *Innocent II Papae, The Catholic Encyclopedia, Tom III*, London, 1912.
- Gilchrist, J., *The Church and Economic Activity in the Middle Ages*, (London and New Yok 1969).
- Hallam , E., *The Plantagent Encycloedia*, London , 1990.
- Holmes, G. , *The Oxford Histoy of Medieval Europe* , New York, 1992.
- Hoyt, R.S., Chodorw , S. *Europe in the Middle ages*, New Yok, 1976.
- Hunt, E.S., & Murray, J.M. *A history of Business in Medieval Europe (1200-1550)* Cambridge university, 1999.
- Jacobs, J., *The Jews of Angevin England* , University press of Pacific, 2004.
- John T., Noonan, *The Scholastic Analysis of Usury* , Cambridge, Mass., 1957.
- Jonson, N.D. & Koyama, M., *Jewish Communities and City groth in Preindustrial Europe* , Geogre Mason university, 2016.
- Joseph, C.M., *Slaving and the Funding of Elite Status in Early Medieval Europe (800-1000AD)*, Berlin , 2024..
- Langholm, O., *The Aristotelian Analysis of Usury*, Bergen and New York, 1984.
- Langholm, O. , *The Legacy of Scholasticism in Economic Thought* , Cambridge, 1998.
- Lupovitch, H. N., *Jews and Judaism in Wold History*, London and New Yok, 2010.
- Luzzatto G., *Storia economica di Venezia dall'XI al XVI secolo*, Marsilio,, 1995.
- Mell, J., *usury as Deviance in Medieval Eruope*, Amsterdam University, 2023.
- Mundill, R., *The King's Jews: Money Massacre and Exodus in Medieval England*, London , 2010.
- Pagnini G. F., *Della Decimae di Varie Altre Grauezze Imposte dal Comune di Firenze* , Tome I, Appendix , Lucca, 1765, A.D. 1169, p.253.

- Pirenne,H,& Cohen,G, Focillon, H., *La Civilisation Occidentale au Moyen Age*, Tome VIII, France , 1934.
- Rosemann , W. P. ,*Peter Lombard* , Oxford , 2004.
- Schiffman,D.A. , "*Usury in Medieval Jewish Thought* " ,*Palgrave Hand book of Philosophy and money*, edited by, J.Tinguely, Vol,I, Palgrave, 2022.
- Stow,K.R.,*Papel and Royal attitudes toward Jewish Lending in Thirteenth Century*, *Association for Jewish Studies Review*, Cambridge University Press ,Vol.6, 1981.
- Stubbs,W., *Select Charters of English Constitutional History* , Oxford,1913.
- Thorndike , L.,*University Record's and Life in The Middle Ages* ,New York , 1944.
- Touch,M,*Economic activities of Jewish Communities in Medieval Germany*,2008.
- Tout, T.F.,*The History of England from the accession of Henry III to the death of Edward III* , London,1904.
- Werner, M., *Papst und Kardinalskolleg von 1191 bis 1216 die Kardinale unter Coelstin III. und Innocenz III.* (Vienna: 1984).
- Wilson,G., *An Illustrated History of late Medieval England*, Manchester University, Manchester,1996.

٦- المراجع العربية والعربية:

- أحمد عثمان، تاريخ اليهود، مكتبة الشروق، ج ٢، القاهرة، (د.ت).
- إيمان على محمد عوض، القديس برنارد كليرفو ودوره الديني والسياسي في غرب أوروبا (١٠٩٠-١١٥٣م)، ط ١، نور حوران، سوريا، ٢٠٢١.
- -----، النهضة العلمية في أوروبا في القرن الثاني عشر، ط ١، نور حوران، سوريا، ٢٠٢١.
- ترتون (أ.س) أهل الذمة في الاسلام، دار المعارف، ط ٢، ١٩٦٧م.
- جاك أتالي، اليهود والعالم والمال " التاريخ الاقتصادي للشعب اليهودي، ترجمة / عاصم عبد ربه & تميم فتح الباب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٩
- جاك لوغوف، تجار وصيارفة العصور الوسطى، ترجمة / لمياء محمد شرف الدين، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط ١، ٢٠٢٢م.

- حسن حبشي، الشرق العربي بين شق الرchy " حملة لويس على مصر والشام، دار الفكر العربي، ١٩٤٩.
- حسن ظاظا، السيد محمد عاشور، اليهود ليسوا تجارا بالنشأة، دار الاتحاد العربي للطباعة، القاهرة، ١٩٧٥.
- زينب أبو الأنوار، أسواق وتجار أوروبا في العصور الوسطى، ط١، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠١٣.
- زينب عبدالمجيد، اليهود في إنجلترا العصور الوسطى، دار عين للنشر، مصر، ط١، ٢٠٠٦.
- سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا في العصور الوسطى، ج١، مكتبة لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٦٤.
-، أوروبا في العصور الوسطى، ج١، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٤م.
-، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، اليهود في العصور الوسطى " دراسة مقارنة بين الشرق والغرب"، بيروت ١٩٧٧.
- سلام شافعي محمود سلام، أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الثاني والعصر الأيوبي، دار المعارف، ١٩٨٢.
- عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، ط١، ١٩٩٩.
- عبدالرحمن بدوى ، موسوعة الفلسفة ، ج١ ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٤.
- عفاف سيد صبره، الامبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية زمن شارلمان، دار النهضة العربية، ١٩٨٢.
-، العلاقات بين الشرق والغرب، دار النهضة العربية، ١٩٨٣م.
- كانتور، التاريخ الوسيط، قصة حضارة البداية والنهاية، ترجمة وتعليق / قاسم عبده قاسم، ج٢، دار عين للدراسات والبحوث، القاهرة، ١٩٩٧م.
- لوبيز (ر)، ثورة العصور الوسطى التجارية، ٩٥٠-١٣٥٠م، ترجمة / محمود أحمد أبو صوة، منشورات Elga، مالطا، ١٩٩٧م.
- مارك ر. كوهين، وضع اليهود في العصور الوسطى، ترجمة إسلام ديه، معز خلفاوي، ط١، دار الجميل، بغداد، ٢٠٠٧.

- محمد خليفة حسن أحمد، تاريخ الديانة اليهودية، ط١، دار قباء، القاهرة، ١٩٨٨.
- محمد عبد الغنى الأشقر، تجارة التوابل في مصر، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٩.
- محمد مرسى الشيخ، النظم والحضارة الأوروبية في العصور الوسطى، الشنهابي للطباعة، ١٩٩٨.
- محمود سعيد عمران، النقود في العصور الوسطى، مكتبة الجامعة، الاسكندرية، ٢٠١١.
- مرفت محمد عبدالفتاح الديب، دور اليهود في الدولة البيزنطية (في الفترة ٥٢٧م / ١٠٢٥م)، ط١، نور حوران للنشر، دمشق، سوريا، ٢٠٢٠.
- موريس بيشوب، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة على السيد على، ط١، القاهرة، ٢٠٠٥.
- نعيم ذكى، دور اليهود في تجارة العصور الوسطى بين الشرق والغرب، القاهرة، ١٩٧١.
- نعيم ذكى، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، القاهرة، ١٩٧٣.
- هناء محمود شمس، رؤساء أساقفة كانتبري في التاريخ السياسي (١١٣٥-١٣٠٧م)، نور حوران، سوريا، ٢٠٢٢م.
- هنري بيرين، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى (الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ترجمة عطية القوصي، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦.
- ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة / محمد بدران، مجلد (٨)، مكتبة الأسرة، ط١، القاهرة، ٢٠٠١م.

٧- الدوريات والرسائل العلمية الأجنبية:

- Abulafia, D., *The Jews of Sicily and Southern Italy: Economic Activity. InTouch, M.(Ed.) , Archivio Storico per la Sicilia Orientale, (pp.49-62) , Cambridge University, 2008.*
- Adamo, S., Alexander, D. & Fasiello, R., *Usury and Credit Practices in Italy in Middle Ages , Accounting and Culture Review Forthcoming, 2018.*
- Amira sami, Sami Ul Haq and Others, *Usury Laws in Judaism: A Critical Study , Palarch's Journal of Archaeology of Egypt/ Egyptology 19(4), 2022.*
- Baldwin, J.W., *The Medieval theories of the Just Price: romanists, Canonists and Theologians in Twelfth and Thirteen Centuries, Transactions of the American philosophical Society, Vol.49, No.4 (1959).*

- Barkey ,K,&Katznelson,I., *States , regimes ,and decisions: Why Jews were expelled From Medieval England and France, Theory and Socity*,40(5) ,2011.
- Baumgarten, E., *Mony matters: Individuals,Communities and Every day Economic interactions between Jews and Christians in Medieval Europe,Medieval Encounters*,Vol.27 ,No(3-4),2021.
- Brackett,A.,*Jews in Thirteenth Century England , Texas Women' S University*,2019.
- Brand,P., *Jewish usury and the Law in England in Twelfth and Thirteen Centuries, Seminaire Relmin, Universite de Nantes*,(13May,2014).
- Burke,J.,*Money For Nothing:The Sin of Usury (Working Paper No.0801),Department of Economic,Ava Maria University*,2008.
- Daniel Bornstein, 'Law, Religion, and Economics: Jewish Moneylenders in Christian Cortona', in John Marino and Thomas Kuehn, eds., *A Renaissance of Conflicts: Visions and Revisions of Law and Society in Italy and Spain, Centre for Reformation and Renaissance Studies, Essays and Studies vol. 3 (Toronto, 2003)*.
- Dew ,B., *Jewish Exclusions: Eighteenth - Century Historians and Expulsion of England's Jews, intellectual History Archive, Vol.6, University of Helsinki*, 2018.
- Dubois, M.J., *L'Exil et la demeuer: Journal de bord d'un Chretien en Israel , Jerusalem*,1984.
- Fel,S &Zdun,M., *Judaism and Economics: The Link bettween Judaism and Economic Life , The Person and the Challenges*, 4(2) , 2014.
- Hayms,P.R.,*The Jews in Medieval England1066-12090, In.HaverKamp, A. & Vollrath ,H. ,(Eds),England and Germany in High Middle Ages, Oxford university press*,1996.
- Holt,J.C., *Magna Carta1215, English Historical Document,(1189,1327),ed.byRothwell,H., Vol.III ,London*,1975,.
- Holt,*The Barons and The Great Chaterm, cf.E.H. R.,Vol,70*,1955.
- Ihssen,B.L.,*Basil and Gregory's Sermons on Usury:Credit Where Credit is due, Journal of Early Christian Studies*, 16 (3),2018.
- Jacques Le Goff, 'The Usurer and Purgatory', in *Center for Medieval andRenaissance Studies, UCLA, ed., The Dawn of Modern Banking (New Haven, 1979)*.
- John,T.& Noonan,JR., *Authority, Usury and Contraception, Vol. 16, No. 1, University of North Carolina Press*,1966.

- Jordan ,W.C., *Administering expulsion in 1306.In French Monarchy and the Jews: The Crown and the Community(1250-1306)* , Princeton University Press ,2008.
- Kallioinen,M., *Long distance Trade in Medieval Europe ,Oford Research Encyclopedia of Economics and Finance, Oxford university,2020, p.2.*
- kirschenbaum,A. ,*Jewish and Christian Theories of Usury in the Middle Ages, The Jewish Quarterly Review 75(3)* , university of Pennsylvania, 1985.
- Koyama,M., *The Political economy of expulsion: The regulation of Jewish Money lending in Medieval England, ConstitutionalPolitical Economy,21(4),2010.*
- Leonard,G.H., *The Expulsion of Jews by Edward I, Transactions of the Royal Historical Society,Vol.V,London,1891.*
- Menache ,S., *Faith ,Myth , and Politics: The Stereotype of the Jews and their expulsion From England and France , The Jews Quarterly Review75(4), University of Pennsylvania , 1985.*
- Michallon,S., *The Expulsion of Jews From France in 1306: Amodern Fiscal analysis, Department of Economics, university of Toronto,2004.*
- Munro , J., *The Usury Doctrine and Urban Public Finances in Late-Medieval Flanders (1220-1550): Rentes, (Annuities), Excise Taxes, and Income Transfers from the Poor to the Rich, University of Toronto, Toronto, Canada,2017.*
- Munro,J., *The Medieval Origins of the Financial Revolution: Usury, Rentes, and Negotiability, TheInternationalHistoryReview, Vol. 25, No. 3 (Sep., 2003).*
- Nath,A., *Aaron of Lincoln,The Jews Financier and Wealthiest Man of 12th Century England,Quest Jornal in Humanities and Social Science ,Vol.9,No.7, 2021.*
- Ovrut,B.D., *Edward I and Expulsion of the Jews,The Jews Quarterly Review,Vol.67, No.4 ,University of Pennsylvania , (Apr.,1977).*
- Patschovsky,A.,*The Relationship between The Jews of Jermamy and the King (11th-14th Centuries, in Haver Kamp,A and Vollrath ,H.,(eds.) , England and Jermamy in the High Middle Ages , (oxford university1996).*
- phelan,J.,*The Jewish " monopoly' of the slave trade in the early Middle Ages: the origins and endur ing historical motif, patterns of prejudice, vol 57,no3,2023.*
- Potter,M., *Narratives of of Violence,Sufferingand eschatology: Depictions of Jews in the Chronica Majora of Matthew paris, [Master of Arts thesis],Palhousie university ,2017.*

- Remaud ,M., *Catholiques et Juifs; Un nouveau regard Note de la Commission pour les relations religieuses avec le Judalsme*, Paris,1985.
- Romsics,A.C.,*The dissolution of the Templar order and the expulsion of the Jews from Toulouse [MA Thesis , Central European University, Budapest, 2019.*
- Schwarzfuchs,S.R., *The expulsion of the Jews from France (1306) The Jewish Quarterly Review*,57(4), university of Pennsylvania press ,1967.
- Singer,S.A.,*The Expulsion of The Jews from England in 1290*,*The Jews Quarterly Review*, university of Pennsylvania, no 2 ,Vol,55, 1964.
- Straus, R.,*The Jews InEconomic Evolution of Central Europe , Jewish Social Studies*, No 3, New York, 1941.
- Touch, M., *Wirtschaft und Verfolgung: Die Bedeutung der Ökonomie für die Kreuzzugspogrome des 11. und 12. Jahrhunderts. Mit einem Anhang zum Sklavenhandel der Juden. In J. Fried (Ed.), Juden und Christen zur Zeit der Kreuzzüge (pp. 253–288). München: R. Oldenbourg Verlag, (2003).*
- Valente,C.,*Simon de Montfort Eral of Leicester,and the Utility of Sanctity in Therteenth Century England*,in *Jornal Medieval History*,No.21,1995.
- Vincent.J., *Historical , Religious and Scholastic Prohibition of Usury: The Common Origins of Western and Islamic Financial Practices*,Seton Hall University, 2014.

8- الدوريات والرسائل العلمية العربية:

- أسامه إبراهيم حسيب، نظر قضايا الأرض الإنجليزية فى محاكم إدوارد الأول (1272-1307م)، مجلة " وقائع تاريخية، مركز البحوث والدراسات التاريخية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، عدد يوليو، 2020.
- جمال فاروق الوكيل: الموارد الاقتصادية لجماعة الفرسان الداوية وأثرها على نشاطهم الإقتصادي والمالي، مجلة المؤرخ المصري، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ع 51، 2017.
- جمال فاروق الوكيل: سياسة الملك الفرنسي فيليب الرابع " الجميل" تجاه جماعة الفرسان الداوية " 1285م-1314م"، مجلة وقائع تاريخية، مركز البحوث والدراسات التاريخية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ع 28، 2018.
- عطية القوصي، أضواء جديدة على تجارة الكارم، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، المجلة التاريخية المصرية، المجلد 22، 1975.
- عمر عبد المنعم إمام، الفیکنج والإمبراطورية الكارولنجية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، 2009.

- فاطمة عبد اللطيف الشناوي، انتهاك حقوق سكان فيتري تحت حكم الملك لويس السابع ملك فرنسا، المجلة العلمية بكلية الآداب، جامعة طنطا، ع 21، ج 1، 2008.
- هبة رمضان محمود العويدي، يهود غرب أوروبا وعلاقتهم ببلاد الشام من كليرمونت 1095م حتى سقوط عكا 1291م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس، كلية البنات، القاهرة، 2009.
- هناء بنت محمد الراشد، التاريخ السياسي لإمارة قطالونيا ودورها التجاري في القرنين السادس - السابع الهجري/ الثاني عشر - الثالث عشر الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، المملكة العربية السعودية 1421هـ/ 2000م.
- ياسر عبد المعبود عبدالله، أبيلارد ومكانته في الثقافة الأوروبية الوسيطة (1079 - 1142)، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة عين شمس، كلية البنات، قسم التاريخ، 2007 م.
- ياسر كامل محمود، البابوية ويهود غرب أوروبا عصر الحروب الصليبية (1095- 1291م)، رسالة دكتوراة غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة أسيوط، 2015م.

9 - القواميس العلمية الأجنبية:

- Kelly.J. N.D , *The Oxford Dictionary of Popes , Oxford, Oxford university, 1988.*
- Moore,W.G., *the penguin Encyclopedia of Places,Britanian, 1978.*

10 - المواقع الإلكترونية:

- [https://www.nationalarchives.gov.uk/education/resources/jews-in-england-1216-72/source-three-satirical-illustration.](https://www.nationalarchives.gov.uk/education/resources/jews-in-england-1216-72/source-three-satirical-illustration)
- [https://blogs.bl.uk/a/6a00d8341c464853ef0264e2ea5840200d-pi.](https://blogs.bl.uk/a/6a00d8341c464853ef0264e2ea5840200d-pi)
- [https://upload.wikimedia.org/wikipedia/commons/1/1b/Medieval-Jewish-moneylenders.jpg.](https://upload.wikimedia.org/wikipedia/commons/1/1b/Medieval-Jewish-moneylenders.jpg)